



مؤسسة مفدي زكرياء

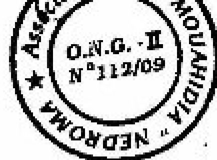
الذكرى 25
لوفاة الشاعر

تاريخ الصحافة العربية في الجزائر

تأليف : مفدي زكرياء

جمع وتحقيق : د. أحمد حمدي

الجزائر 2003



Le 2ème tirage
de cet ouvrage est édité avec le concours
du Commissariat général
de l'Année de l'Algérie en France

Djazaïr

الجزائر



مفدي زكرياء

تاريخ الصحافة العربية في الجزائر

جمع وتحقيق: الدكتور أحمد حمدي

منشورات مؤسسة مفدي زكرياء

الإيداع القانوني: 64-2003
ردمك : 9961-9539-1-6

"على نبضات الشعب ، وقعت ألحاني

ومن نشوة التحريـــر، لحـــنت أوزاني

وأنشدت في أفراح شعبي، وتـرحـــه

روائـــع، لم يصـــدع، بإعجازها، ثـــاني

وخلدت، مـــن مجد العروبـــة، صفحة

رسمـــت على عنوانـــها، وجه قحطان

وتيمني حـــب الجزائـــر، فارتـــوى

نشيـــدي، في الساحـــات، من دمها القاني"

"مفدي زكرياء"

الفهرس

المقدمة

"الصحافة في كل شعب ترجيع للأصداء المختلفة التي تتجاوب في شتى ميادينها، ومرآة صقيلة تنعكس فيها الأحداث السياسية والاجتماعية التي تضطرب بها آفاق البلاد في مختلف مراحل نموها وانبعاثها".

ذلك هو مفهوم مفدي زكرياء للصحافة، وتلك هي رؤيته لوظيفتها الرائدة في بناء ذاكرة الأمة، وتفعيل دورها في المجال الحضاري. من هذا المنطلق الواضح راح يبحث في مختلف وقائعها، ومراحل تطوراتها، وزوايا تاريخها الحافل بالجزائر، حيث أسفر بحثه ذلك عن برنامج إذاعي اشتمل على 23 حلقة، تم بثها عبر الإذاعة التونسية ما بين سنة 1959 وسنة 1961 أثناء الثورة المسلحة، وقد حرص المؤلف على جمعها في هذا الكتاب المتميز، والأول من نوعه، والذي نقدمه للقراء بعد ربع قرن على رحيل صاحبه إلى جوار ربه.

ملامح من سيرة مفدي زكرياء

وقبل كل شئ لا بد من الحديث قليلا عن مؤلف هذا الكتاب، فهو مفدي زكرياء بن سليمان من مواليد 12 جمادى الأولى سنة 1325 هـ(1) الموافق لأفريل 1908 ببلدة بني يزقن ـ غرداية، وفيها ابتدأ حفظ القرآن الكريم، وفي السابعة من عمره انتقل إلى مدينة عنابة مقر تجارة والده، ثم أرسل إلى تونس ضمن البعثة الميزابية، التحق بجامع الزيتونة سنة 1926.

بدأ العمل السياسي في أوائل الثلاثينيات ضمن صفوف "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين" وحزب "نجمة شمال إفريقيا" ثم "حزب الشعب الجزائري" ثم "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" ثم "جبهة التحرير الوطني" .

ساهم بشكل فعال في النشاط الأدبي والسياسي في كل أقطار المغرب العربي ودخل السجن خمس مرات ابتداء من سنة 1937 وانتهاء بسنة 1959.

كان أمينا عاما "لحزب الشعب الجزائري" ورئيسا لتحرير لسانه المركزي صحيفة "الشعب" سنة 1937 و 1938.

واكب إنتاجه الفكري والأدبي تاريخ الجزائر الحديث، ابتداء من سنة 1925 إلى أن توفاه الأجل يوم 2 رمضان 1397 الموافق 17 أوت 1977 (2) ودفن في بلده الأصلي بني يزقن.

لقد كتب أغلب الأناشيد الوطنية التي ما فتئت ترددها الحناجر، مثل " فداء الجزائر" و" نشيد الطلبة " و"نشيد العمال" و" نشيد جيش التحرير " والنشيد الوطني " قسما " ..الخ.

هذه ملامح وجيزة من السيرة الذاتية لمفدي زكرياء ..ملامح تعبر عن شخصية فذة، متعددة المواهب، مفعمة بالنضال الصلب، والمواقف الوطنية العظيمة، فإلى جانب كونه صحفيا بارزا فإنه باحث متبصر، وأديب ناثر متميز، وزعيم سياسي محنك، بل إنه ــ كما ألمحنا سابقا ــ أحد مؤسسي أهم حزب من أحزاب الحركة الوطنية الذي صدح بأعلى الأصوات إبان الثلاثينيات من القرن العشرين مطالبا بحق الاستقلال، ولو بأغلى الأثمان، ذلكم هو "حزب الشعب الجزائري". غير

أن كل هذه الزوايا المشرقة ظلت تغطيها الظلال الوارفة لشجرة الشعر الباسقة التي رعاها مفدي زكرياء، بل يكاد يطوي النسيان تلك المواهب المتعددة.

فما هي الأسباب يا ترى ؟

لا شك أن الإجابة على ذلك تتطلب استقراء تاريخيا، يفضي إلى تحديد الظروف والمحيط الذي ساعد على تكوين شخصية مفدي، حيث أنه دون ذلك لا يتم إنتاج المفاتيح الأساسية لمغاليق السؤال المطروح.

مفدي زكرياء المناضل

تكاد شخصية مفدي النضالية وحنكته السياسية أن تكون مجهولة لدى الشباب، رغم أنه، أحد مؤسسي "حزب الشعب الجزائري" البارزين، ورفيقا حميما لمصالي الحاج، ولا نبالغ إذا قلنا أن كثيرا من مفردات الخطاب الإيديولوجي الجزائري كانت من بنات أفكاره، فقد عرف السجن كمناضل لأول مرة سنة 1937 اثر حل "حزب الشعب الجزائري" حيث ألقي القبض عليه رفقة مصالي الحاج وحسين الأحول ليطلق سراحه سنة 1939 ثم ليلقى عليه القبض مرة ثانية سنة 1940 ويزج به في غياهب السجن إثر مجازر 8 ماي 1945 وعندما يترشح للمجلس الجزائري، باسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، يكون ضحية تزوير مفضوحة.

انضم إلى "جبهة التحرير الوطني" بعد تأسيسها بأيام قلائل، ليكتب بدمه، في غياهب سجن بربروس الرهيب، وبالضبط يوم 25 أفريل سنة 1955 في الزنزانة رقم 69 النشيد الوطني الخالد " قسما"(3)، وبمجرد أن أطلق سراحه حتى فر إلى المغرب الأقصى ليلتحق بصفوف الثورة

بتونس، ليساهم بنشاطاته النضالية المختلفة في التعريف بنضال الشعب الجزائري وحقوقه في الحرية والاستقلال، وضمن نشاطه السياسي أيضا، فقد كان من المساهمين أيضا في تأسيس الحزب الدستوري التونسي الأمر الذي يدل على نظرة مفدي التي تؤكد على ضرورة وحدة المغرب العربي الكبير، وهي نفس المفاهيم والرؤى التي تشبع بها من أدبيات "نجم شمال إفريقيا"، وانعكست بصورة جلية في نصوصه الشعرية، وفي مختلف مراحل حياته السياسية التي طبعت حتى في مرحلة استعادة الاستقلال الوطني بطابع الرفض التام لكل ما لا يتوافق وتلك القناعات المبدئية الراسخة.

مفدي زكرياء الصحفي

لا شك أن مفدي زكرياء يعتبر من أوائل المؤسسين للصحافة الوطنية، أي تلك الصحافة التي تتميز عن صحافة "الأهالي" وعن صحافة "الكولون" و"الجمعيات"، بكونها صحافة تحمل مشعل الدفاع عن الوطن، وتحث على توحيد الصفوف لتحريره من قبضة المستعمر، وينضوي أغلبها تحت لواء "حزب الشعب الجزائري" بتعدد مسمياته.

أول خطوة لمفدي في عالم الصحافة كانت مبادرته إلى جانب رفيقه الشاعر رمضان حمود، عندما أسسا جمعية "الوفاق" الأدبية التي أصدرت صحيفتها في الفترة ما بين 1925 و1930 في تونس.

ولدى عودته إلى الجزائر أسس جمعية مماثلة، وأصدر لها صحيفة "الحياة" التي صدر منها ثلاثة أعداد فقط سنة 1933.

في هذه الفترة انضم مفدي إلى حزب "نجم شمال إفريقيا" الذي رفع شعار الوطنية والتحرر التام من ربقة الاستعمار ، وقد بدأ نضاله المبكر في صفوف "جمعية الطلبة المسلمين في شمال إفريقيا"، التابعة للنجم، وبعد حله من طرف القوات الاستعمارية، تأسس من جديد تحت اسم "حزب الشعب الجزائري" وكان مفدي من ضمن مؤسسيه البارزين، ومن موقعه ذلك أسس صحيفة "الشعب" باللغة العربية باعتبارها لسان حال الحزب، لكن السلطات الاستعمارية كانت له بالمرصاد إذ سرعان ما أوقفت الجريدة، وزجت بمفدي مع قادة الحزب في غياهب السجون.

ورغم انشغالاته الوطنية العديدة هذه، فقد ظل مراسلا وفيا لعدد معتبر من الصحف والمجلات التونسية، بأسماء مستعارة مثل " الفتى الوطني" و "أبو فراس" كما كتب لبعض الصحف الجزائرية السرية مثل "الوطن" و "العمل الجزائري" .

تميزت كتابات مفدي الصحفية بطابعها الثوري، وحماسها الفياض، ولغتها الصافية والمباشرة، عندما تكون موجهة لجماهير الشعب، وطافحة بالتهكم والسخرية اللاذعة عندما تكون موجهة لقوى البطش الاستعماري، وقد غلب على كتابات مفدي في هذه الفترة المقال الصحفي والتعليق، دون إغفال بقية الأجناس الصحفية الأخرى، ويعود سبب ذلك إلى أن مفدي ينزع نحو صحافة الرأي لا صحافة الإثارة، لكن ذلك لا يمنعه من أن يكتب بأسلوب صحفي بليغ، طابعه تحريضي، وهدفه تعبوي، وسياقه حماسي متمرد.

ولم يكن نشاط مفدي الصحفي محصورا في الصحافة المكتوبة، بل كانت له تجربة متميزة في الصحافة المسموعة، حيث أعد جملة من

البرامج الإذاعية الهامة، ذات الطابع التخصصي كبرنامجه عن الأدب الجزائري، وكذلك برنامجه المتميز عن تاريخ الجزائر، وخاصة برنامجه عن تاريخ الصحافة العربية في الجزائر ـ موضوع هذا الكتاب ـ الذي يعتبر الأول من نوعه في هذا الاختصاص.

ومن خلال تصفح هذا الأخير، يتبين لنا مفهوم مفدي زكرياء لوظائف ومهام الصحافة، ودورها الفاعل في المجتمع، قد لخصها في قوله المتصدر لهذه المقدمة، وهو:

"الصحافة في كل شعب ترجيع للأصداء المختلفة التي تتجاوب في شتى ميادينها، ومرآة صقيلة تنعكس فيها الأحداث السياسية والاجتماعية التي تضطرب بها آفاق البلاد في مختلف مراحل نموها وانبعاثها".

وقد أدرك مناورات الاستعمار وحرصه على إنشاء صحافة استعمارية ناطقة باللغة العربية، وقد عبر عن ذلك بقوله:

"إنشاء صحافة عربية تخدم ركاب الاستعمار، وتشيد بمآثر فرنسا وتسبح بحمدها، قصد تركيز الاستعمار وتغرير الشعب الجزائري الذي ما انفك يقاوم المحتل ويثور ضد نفوذه في البلد"

وتجدر الإشارة إلى أن بعض فصول "تاريخ الصحافة العربية في الجزائر" ـ وهذا العنوان من وضع المؤلف ـ قد تم نشرها في مجلة "الشباب" التي أصدرتها قيادة الثورة بتونس سنة 1959.

مفدي زكرياء الأديب

أما شخصية مفدي الأديب، فتتجلى في أسلوبه كناثر من خلال قوته التعبيرية الهائلة، وقدرته التقنية العالية في صياغة وكتابة المقال

الأدبي، أو عبر محاولاته القليلة لكتابة القصة القصيرة، ولا شك أن عبارته النثرية تظل مشبعة بالخيال الشعري، ذي العبارة الواضحة، والإيقاع المتواتر، والبلاغة النادرة التي تؤكد عبقرية فذة.

مفدي زكرياء الشاعر

وضمن مواهب مفدي المتعددة تبرز شخصية الشاعر الملتزم الذي يجسد بكل جدارة وكفاءة وظيفة المثقف العضوي، وتفانيه في خدمة قضيته، لكن في الفترة التي بدأ نجم مفدي يسطع كان الشعر الجزائري يعيش مرحلة انحطاط وعزلة تامة عن الجماهير، نتيجة القهر الاستعماري وسياسة التجهيل ومنع اللغة العربية وآدابها، ومحاربة التواصل الثقافي العربي في الجزائر، من هنا كان دور مفدي، إلى جانب محمد العيد آل خليفة ومحمد الأمين العمودي، بارزا في النهوض بالشعر الجزائري من كبوته تلك.

ففي سنة 1927 صدرت أول مختارات شعرية جزائرية بعنوان "شعراء الجزائر في العصر الحديث" لمحمد الهادي السنوسي، التي تعتبر أول الغيث الذي سقى التربة العطشى، وكان حضور مفدي في هذه المجموعة بارزا. وإثر ذلك تبدأ الصحافة الجزائرية بنشر العديد من القصائد لشعراء جزائريين، حيث تبرز مدرستان متكاملتان، مدرسة يتزعمها محمد العيد بشعره الإصلاحي والاجتماعي، ومدرسة يتزعمها مفدي زكرياء بشعره الثوري والوطني، وتدريجيا يعود الشعر إلى حضوره الفاعل في الحياة الثقافية.

هنا تبرز موهبة مفدي الشعرية من خلال قدرته، علـــى صياغـــة العبارة الشعرية بدقة متناهية، وقدرة عجيبة على تكثيف المعاني، بحيـــث تتحول كلماته إلى متفجرات مزمجرة، ورصاصات صائبة، في لغة بسيطة خالية من التعقيد، تنفذ إلى المتلقي بسهولة ويسر.

والجانب المهم في كل ذلك هو أنه استطاع أن يخرج الشعر مـــن قوقعته المنعزلة، وبرجه العاجي، ليجعله من شؤون الحياة اليومية، لـــدى مختلف الأوساط والفئات، بغض النظر عن مســـتواها التعليمـــي، حيـث صارت تصدح به الحناجر، في مختلف المناسبات، خاصـــة مـــن خـــلال الأناشيد الرائعة المفعمة حماسا، والثرية دلالات.

يتم ذلك بأسلوب مباشر نفاذ، خـــال مـــن المســاحيق، يســتعمل المفردات في دلالاتها ومعانيها الدقيقة، ولا يجد صعوبة في صياغة ذلـــك بعفوية بالغة، عبر حرصه على اختيار الكلمات البسيطة القريبة مـــن روح الشعب، حيث نجده في بعض الأحيـــان يكتـــب المقطوعـــات والأغـــاني باللهجة الشعبية.

تاريخ الصحافة العربية

يعود الفضل في المحافظة على نسخة مرقونة من حلقات البرنـــامج الإذاعي التي اعتمدنا عليها كنواة في تحقيق هذا الكتاب، للدكتور سليمان الشيخ نجل المؤلف، فقد ظلت في وضعية جيدة، مكتوبة بالآلـــة الكاتبـــة على أوراق عادية (صفحة 21x 29) وعلى شكل حلقات إذاعيـــة، مـــن الحلقة الأولى (وهي منشورة بالعدد 20 من مجلـــة "الشـــباب الجزائـــري" الصادرة في شهر فيفري 1961) إلى الحلقة 23.

وقد اطلع على هذه الحلقات قبلنا كل من الكاتب التونسي الحبيب شيبوب، وهو صديق حميم للمؤلف، والدكتور زهير إحدادن المختص في تاريخ الصحافة الجزائرية، وكتب كل منهما كلمة تنويه بهذا العمل النادر للمؤلف.

لقد أراد الكاتب أن يقوم بمراجعة النص الإذاعي وتنقيحه ثم إعداده للنشر ككتاب لكن مشاغل الحياة، والظروف القاسية التي مر بها لم تسعفه في ذلك، وهي نفس الظروف التي حالت دون تحقيق أمنيته الأخرى، وهي تخصيص بحث آخر في الصحافة الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، والتي بلغت في ذلك الوقت أكثر من خمسين صحيفة، حسبما يذكر في الحلقة الأولى.

بيد أنه ومنذ إنشاء "مؤسسة مفدي زكرياء" التي وضعت من ضمن مهامها العاجلة نشر وطبع تراث مفدي المغمور في حلة تليق بمقام شاعر الثورة الجزائرية والمغرب العربي ، وإعادة طبع تراثه المنشور ليكون في متناول أيدي الأجيال الجديدة، قد طلبت من الكتاب والباحثين المختصين أن يقوموا بواجبهم في هذا الشأن، خاصة وأنها توفر لهم كل ما يمكن توفيره.

ضمن هذا السياق اطلعت على هذه النسخة النادرة، ورحت أراجعها حلقة ..حلقة، ثم رحت أقارن التواريخ، حيث تكونت لدي فكرة أن المؤلف رغم محدودية الإمكانيات، وقلة المراجع في تونس نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، إلا أنه استطاع أن ينجز شيئا عظيما، فهو الأول من نوعه في تاريخ الصحافة بالجزائر، وهو المعبر عن حيوية

الإنسان الجزائري وتحديه للبطش والتجهيل ، وهو الذي يملأ الفراغ الذي تعاني المكتبة الجزائرية..الخ

ورأيت أن إعداد وتقديم هذا الكتاب للطبع ـ بعد مراجعة التواريخ والمعلومات ـ يقتضي تجنب الصيغ الإذاعية، والتوجه بالخطاب إلى المستمعين، وهو ما قمنا به أثناء عملية الجمع والتحقيق، لكن أمانة للبحث العلمي، وحفاظا على الصياغة التي دونها المؤلف، وتوفيرها لمن أراد الرجوع إلى ذلك، فقد أثبتنا كل تلك الصيغ في الهوامش التي هي من وضع المحقق وحده.

وبعد ذلك قمنا بتبويب الكتاب إلى ثمانية فصول، عملنا بكل جد على أن تكون معبرة عن روح الكتاب، من خلال وضع العناوين المناسبة، ومن خلال ترتيب لا ينجم عنه أي غموض أو التباس لدى القارئ.

وقد تناول الفصل الأول، ظهور الصحافة العربية في الجزائر، حيث تم استعراض المرحلة الأولى من مسيرة الصحافة في الجزائر مع ذكر العناوين الصحفية التالية: (المبشر- النصيح - الحق الوهراني- الأخبار - كوكب إفريقيا - المغرب- مجلة الإحياء).

وتطرق الفصل الثاني إلى صحافة المقاومة القلمية في الجزائر ومواجهة الاحتلال وقانون الأنديجينا، كما تم استعراض صحف المرحلة الثانية من مسيرة الصحافة في الجزائر التي تميزت بنوعين:

نوع مقاوم للاستعمار وهي: (الجزائر ـ المسلم ـ الإسلام ـ الهلال ـ الهلال أيضا ـ البريد الجزائري ـ ذو الفقار ـ الفاروق ـ أخبار الحرب ـ الإقدام ـ الصديق).

وصحف موالية للاستعمار وهي: (النجاح ـ لسان الدين.)

وتناول الفصل الثالث نشأة الصحافة الإصلاحية ومعاركها الفكرية بواسطة العديد من الوسائل "كنادي الترقي"، والحركات السياسية والثقافية "كنجمة الشمال الإفريقي" و"جمعية العلماء"، ثم يستعرض الصحف التي واكبت ذلك مثل: (المنتقد ـ الشهاب ـ الشهاب).

وركز الفصل الرابع على مجلة "الشهاب" التي قادت معركة الانتماء، خاصة تلك المواقف المتعلقة بالتجنيس، وحملتها الناجحة على فكرة الاندماج.

وتناول الفصل الخامس صحيفة "المنهاج" ومعركة التحرير العربية وضرورة النهوض بالأمة، دون أن يغفل طرح قضية فلسطين.

أما الفصل السادس فقد تطرق إلى صحافة الأفراد ومواصلة الإصلاح، وقد ذكر بهذا الشأن الصحف المنادية بالإصلاح وهي: (صدى الصحراء ـ الحق).

أما الصحف المعارضة، فتأتي على رأسها (جريدة البلاغ الجزائري).

وكرس الفصل السابع لشيخ الصحافة ومقاومة القوانين الجائرة الشيخ أبي اليقظان، وصحفه: (وادي ميزاب ـ ميزاب..الخ)

وكان الفصل الثامن والأخير عبارة عن كرونولوجيا تستعرض الصحافة الجزائرية التي لم يتمكن المؤلف من تقديمها بشكل مفصل.

منهج مفدي في البحث

اتبع المؤلف في كتابه هذا المنهج التحليلي التاريخي، حيث يقوم بسرد الواقعة التاريخية بمختلف تفاصيلها، وعادة ما تكون الواقعة التاريخية هنا هي تأسيس وميلاد هذه الصحيفة أو حجز ومنع تلك من الصدور، دون أن يغفل تحليل الظروف التي ظهرت فيها، أو تفحص النتائج التي آلت إليها.

ويؤكد المؤلف اتباعه لهذا المنهج بقوله في أول حلقة:

(في أحاديثنا المتتابعة نشرح عند تحليلنا لكل مرحلة من هذه المراحل أسباب اختيارنا لهذا التقسيم، والظروف التاريخية التي جعلت هذه الصحف ترجمانا صادقا عن الأوضاع السائدة في مختلف أطوار الحياة التي مرت بها.)

وقد بدا حريصا على تقديم كافة المعلومات حول هذه الصحيفة أو تلك، وتحليل تلك المعطيات وفق أسلوب لا يخلو من التشدد إزاء الانهزاميين، أو دعاة التجنيس والاندماج.

ولا شك أن مسألة التوازن بين الفترات التاريخية التي أشار إليها الدكتور زهير إحدادن في تقديمه لهذا الكتاب، تجد كل مبرراتها في هذا الشأن، إذ أنه إضافة إلى ندرة المراجع في ذلك الوقت، فإن الحرص كان شديدا من أجل استعمال كل الوسائل لتحرير الوطن، وعدم الخوض في القضايا الجانبية التي تشتت الأفكار وتصرف الأنظار إلى القضايا الثانوية.

كل ذلك جعل مفدي زكرياء المناضل الوطني الغيور، والقائد السياسي المحنك، أن يعمل على أن تكون كل جهوده مركزة ــ حسب

معتقداته ومبادئه الوطنية ـــ على الفترات الحاسمة والتفاصيل التي تدعم منطلقات الكفاح الوطني. وهي الفترات التي تكرست فيها الجهود من أجل جمع الصفوف، وتمتين عرى الأخوة والمحبة بين الجزائريين.

الدكتور أحمد حمدي

رئيس المجلس العلمي

لكلية العلوم السياسية والإعلام

جامعة الجزائر

(1)حسب برنامج الموافقات الإلكتروني فإن 12 جمادى الأولى سنة 1325 يوافق 22 جوان 1907، لكن مختلف المراجع توافق ذلك بـأفريل سنة 1908م.

(2) الأمين بشيشي، أناشيد للوطن، المؤسسة الوطنية الاتصال والنشر والإشهار ، الجزائر، 1998 ص:15 غير أن الغلاف الأخير لديوانه " اللهب المقدس" ط. 3، يثبت التاريخ التالي: أول رمضان 1397هـ الموافق 16 أوت 1977.

(3) مفدي زكرياء، اللهب المقدس، الطبعة الثالثة، الجزائر، موفم للنشر 2000 ص : 71

تقديم

تعتبر هذه المجموعة من المقالات الإذاعية أول محاولة لكتابة تاريخ الصحافة الجزائرية الإسلامية. فلا نحس أنها كتبت ما بين سنة 1959 وسنة 1961 أثناء الحرب التحريرية، وفي هذا التاريخ لم يظهر الاعتناء بالكتابة عن الصحافة الجزائرية سواء كانت مكتوبة باللغة العربية أو بالغة الفرنسية، وسواء كانت استعمارية أو إسلامية. مفدي زكريا أول من اهتم بدراسة هذا التراث الفكري الجزائري رغم الصعوبات التي كان يعرف أنه سيجدها. فمن جهة كانت الحرب التحريرية مشتعلة وكانت تفرض التزامات سياسية وفكرية لابد من اعتبارها حتى في كتابة التاريخ، ومن جهة أخرى الوثائق والمراجع التي يعتمد عليها الباحث لم تكن متوفرة وحتى إذا توفر البعض منها فإنه يصعب أن يكون الاعتماد عليها مطلقا. ومفدي زكرياء يعلم كل هذا ولكنه يعلم كذلك أن الحديث عن الصحافة الجزائرية ليس هو إلا حديثا سياسيا يغذي الثورة الجزائرية ويقويها ويعرف بأصولها وفروعها. والصحافة الجزائرية شكل من أشكال الكفاح السياسي الذي خاضه الشعب الجزائري ضد الاستعمار. وإذا أخذنا باعتبار هذه الظروف، فإن هذه السلسلة من المقالات تأخذ أهمية كبيرة جدا، وقبل أن تكون وثيقة تاريخية، أو دراسة تاريخية، فهي شهادة عيان لرجل عايش الأحداث التي يحكي عنها وشارك في إيجادها وتطويرها.

إن مفدي زكرياء من مواليد السنوات الأولى من القرن العشرين واقترن شبابه بانطلاقة الصحافة الجزائرية الإسلامية قبيل وبعد الحرب

العالمية الأولى وترعرع مع هذه الصحافة وفي كنفها، وعرف أفراحها ونكساتها وجال مع رجالها وخاض أغوارها، فهو بهذا أحق الناس بالحديث عنها.

ونجد الكاتب يعطي أهمية أكثر للفترات الزمانية التي تشبع منها أكثر فهو يخصص 15 حصة من بين 23 المنشورة -اليوم- للسنوات التي عرفت ميلاد جمعية العلماء الجزائريين والحركة الوطنية الأصيلة يعني ما بين سنة 1925 وسنة 1930 في حين أنه لم يخصص إلا 7 حصص لقبل 1925 وحصة واحدة لبعد 1930، ونحن نعرف أن الفترة التي جاءت بعد 1930 ثرية بالأحداث الصحفية ومن بينها تلك التي عرفت ميلاد جريدة "الشعب" الناطقة باسم حزب الشعب الجزائري والتي كان مفدي زكرياء يتولى رئاسة تحريرها، وقد يبدو هذا كتقصير من طرف مفدي زكرياء ولكن المتمعن في هذه السلسلة يرى أن مفدي زكرياء لم تساعده الظروف لكي يخصص لهذه الفترة حصصا أخرى مثل ما فعل بالفترة التي سبقتها.

ورغم هذا النقص فإن المؤرخ يعلم أن الفترة التي جاءت بعد سنة 1930 أقرب إلينا وأن أحداثها الصحفية معروفة أكثر من الفترة التي سبقت 1930، فمن هذه الناحية تبقى أحاديث مفدي زكرياء نفيسة بما تكشف عنه من معلومات ووقائع وشروح وتحليلات تساعدنا من جهة أخرى على معرفة جوانب من شخصية مفدي زكرياء الشاعر والمناضل.

ولهذا يظهر أنه من الفائدة العامة وضع هذه السلسلة في متناول الجميع ونشرها بين القراء حتى ينتفع بها العام والخاص، خدمة للفكر الجزائري وإثراء للثقافة الجزائرية.

الدكتور زهير إحدادن

تصدير

أخي القارئ،

بين يديك، حلقات إذاعية، تتناول تاريخ الصحافة الجزائرية بقلم شاعر ثورتها المظفرة -المرحوم مفدي زكرياء- كان ألقاها في الإذاعة التونسية خلال العامين الأخيرين للثورة.

والذي يهمك منها، هو أن -مفدي- ليس شاعرا ملهما فحسب، وإنما له جوانب متعددة كثيرة منها: الجانب الصحفي الذي لا يتمثل في الكتابة الصحفية بصحف تونس والجزائر والمغرب وإنما بالممارسة العملية، حيث أن -مفدي- منذ صباه كان يمني نفسه بإصدار صحيفة يومية كبرى، تعالج القضايا الوطنية والفكرية بأسلوب عصري محبب للقراء. ولكن لم تساعد الظروف على تحقيق حلمه الكبير، فإنها مكنته من مجهود ين صحفيين لا يمكن نسيانهما بحال وهما: إصداره لجريدتي "الحياة" و"الشعب" اللتين لم تعمرا بسبب العسف الاستعماري.

ومن يطالع هاتين الصحيفتين يدرك ما لمفدي من ذوق رفيع، وألمعية حصيفة، وقلم ناري ملتهب، حاد اللسان.

لذا كانت أحاديث مفدي عن الصحافة الجزائرية حديث المطلع الخبير ، والناقد البصير، العارف بخباياها وأسرارها والمتتبع لمسيرتها تتبع الذي يقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت، وللتاريخ القول الفصل...

ومهما يكن من أمر فإنك ستخرج من مطالعة هذا السفر معجبا بحيوية وجهاد صاحبه الذي وهب عمره لخدمة بلاده بكل ما أوتي من جهد، في جميع المجالات.

وعسى الأيام تساعد على جمع تراثه وطبعه، فنكون أدينا الأمانة نحو شاعر المغرب العربي مفدي زكرياء رحمة الله عليه.

الحبيب شيبوب

تونس في 1985/04/01

الفصل الأول

ظهور الصحافة العربية في الجزائر

مراحل الصحافة العربية في الجزائر:

إذا حاولنا استعراض تاريخ الصحافة العربية (1) بالقطر الجزائري وجدنا أنفسنا أمام ما يقرب عن مائة جريدة ومجلة عربية صدرت بالجزائر من عهد الاحتلال الفرنسي سنة 1830 إلى يومنا هذا(2) عدى مجموعة الصحف الأخرى الجزائرية باللغة الفرنسية ربما بلغت الخمسين سنورد لها حديثا خاصا بعد فراغنا من الحديث عن الصحافة العربية المحضة بحول الله(3). ولا يسعنا أن نأخذ صورة صادقة عن هذه الجرائد والمواضيع التي تعالجها إلا إذا ألقينا نظرة خاطفة على الظروف التي صدرت فيها والملابسات السياسية والاجتماعية التي تكتنفها، إذ أن الصحافة في كل شعب ترجيع للأصداء المختلفة التي تتجاوب في شتى ميادينها، ومرآة صقيلة تنعكس فيها الأحداث السياسية والاجتماعية التي تضطرب بها آفاق البلاد في مختلف مراحل نموها وانبعاثها.

وعلى هذا الاعتبار يمكننا تقسيم الصحافة العربية بالجزائر إلى خمسة أدوار ويمكن أن نسميها مراحل تاريخية:

- المرحلة الأولى: ما بين سنة 1830 عهد الاحتلال إلى سنة 1907.
- المرحلة الثانية: من سنة 1907 إلى سنة 1923.
- المرحلة الثالثة: من سنة 1923 إلى سنة 1936.
- المرحلة الرابعة: من سنة 1936 إلى سنة 1954.
- المرحلة الخامسة: من سنة 1954 إلى سنة 1960.

وفي أحاديثنا المتابعة نشرح عند تحليلنا لكل مرحلة من هذه المراحل أسباب اختيارنا لهذا التقسيم، والظروف التاريخية التي جعلت هذه الصحف ترجمانا صادقا عن الأوضاع السائدة في مختلف أطوار الحياة التي مرت بها، ونبدأ بالمرحلة الأولى.

أهداف السياسة الفرنسية

ما كادت تستقر أقدام الجند الفرنسي ببعض جهات البلاد الجزائرية رغم المقاومات والحروب المستمرة حتى أصبحت سياسة حكومة فرنسا تتبلور حول ثلاث غايات:

الغاية الأولى: إقطاع الأرض للفرنسيين، والإتيان بأكبر عدد منهم إلى البلاد حتى تغدو أرضا لاتينية مسيحية بعد تجريدها من صبغتها العربية الإسلامية.

الغاية الثانية: حكم البلاد حكما مباشرا، لا دخل لأهل البلاد فيه، فكانت بلاد الجزائر تحكم، بادئ ذي بدء، بواسطة قادة جيش الاحتلال. وقد اشتهر الكثير منهم بأعمال التنكيل والمذابح الجماعية. وكان شعار المارشال "بيجو" السفاح الشهير "احتلال الجزائر بالسيف والمحراث" السيف في رقاب العرب والمحراث بيد المستعمر الفرنسي.

الغاية الثالثة: القيام بسياسة تحذير الشعب وتضليله في واجهتين:

– واجهة يقوم بها المبشرون المسيحيون في المدن والقرى بإظهار الاستعمار الفرنسي في مظهر رسول الرحمة والسلام، وقد رصدت الحكومة ميزانية ضخمة لتغذية هذه الدعاية التي تقوم على

التمويه والدجل، واصطناع البر والإحسان إزاء الأهالي المعوزين، والمرضى والجائعين.

ــ والواجهة الثانية: إنشاء صحافة عربية تخدم ركاب الاستعمار، وتشيد بمآثر فرنسا، وتسبح بحمدها، قصد تركيز الاستعمار وتغرير الشعب الجزائري الذي ما انفك يقاوم المحتل ويثور ضد نفوذه في البلد بالطرق السلمية تارة وبالسلاح تارة أخرى.

وقد عجزت الحكومة الفرنسية عن إيجاد عملاء وصنائع من المسلمين الجزائريين تسند إليهم أمر تحرير هذه الصحف وإدارتها، فاعتمدت على بعض الفرنسيين الذين كانوا من طلائع الحملات الاحتلالية النفسية إلى جانب الجهاز التبشيري المسيحي.

فبينما يسجل تاريخ الصحافة في ذلك العهد أسماء: أدوار غزلان اليهودي. وفكتور باروكان، وبطرس فونطانا المسيحيين، لا يسجل إلا اسم محمود كحول من المسلمين. ومحمود كحول هذا خلقه الاستعمار خلقا مثاليا، وصنعه بوقا من أضدع أبواقه، إلى أن حطمه سنة 1936 وذهب به قربانا للمؤامرة التي دبرها مدير الشؤون الإسلامية إذ ذاك ضد الحركة الإصلاحية من وراء ذلك.

في ذكر الصحف الأولى

ونحن نذكر أسماء جرائد هذه المرحلة مذيلة ببيانات عن محرريها والأغراض التي تناولتها مع الاستدلاء ببعض النصوص المدرجة فيها كنموذج حي بين يدي القارئ الكريم.

أولا- جريدة المبشر

أصدرتها الحكومة سنة 1847 (4) وجعلتها اللسان الرسمي للولاية العامة، وبقيت كذلك إلى سنة 1927 أي ما يقرب من قرن، إلى أن استبدلت بالجريدة الرسمية. وجريدة "المبشر" تطبع باللغتين العربية والفرنسية. ويشرف على تحريرها مدير مصالح الشؤون الإسلامية بالجزائر، وقد كان محمود كحول من أبرز محرريها، وهي تنشر البلاغات ونصوص القوانين والترقيات، والنصوص القضائية، ولا تقتصر على هذا بل تتناول مواضيع أخرى سياسية في محيط التحذير النفساني وتبرير السياسة الاستعمارية بالجزائر.

وقد صارت تصدر باللغتين العربية والفرنسية ابتداء من يوم 5 شوال سنة 1263 هجرية الموافق لـ 15 سبتمبر/أيلول سنة 1847 وكان محررها الأول الشيخ احمد البدوي إلى سنة 1886 حيث خلفه السيد علي بن عمر، ثم بن سماية ثم السيد محمد بن مصطفى بن الخوجة ثم السيد شرشالي ومحمد بن أحمد وغيرهما حتى انتهت إلى الشيخ كحول سنة 1907.

وقد تكلمت عن المبشر جريدة "الحاضرة" بتونس في عددها 408 المؤرخ بيوم 7 جويلية/تموز سنة 1896 (5) فقالت:

"وردت لنا من تلمسان القصيدة الآتية من إنشاد الأديب البارع الكامل السيد أحمد ابن سعيد الحسني في تهنئة الفاضل الماجد الشاعر البليغ أبي المحاسن السيد محمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري الكاتب في الولاية العامة ومحرر الجريدة الرسمية (المبشر) بخطة التدريس في جامع سفير من عاصمة الجزائر. ولا يخفى أن الممدوح من

فضلاء المنشئين وله الرسائل العديدة في مواضيع شتى كرسالته الموسومة "بالاكتراث في حقوق الإناث" والرسالة المفيدة التي ألفها في وجوه التحفظ من الوباء. ولذلك أحببنا المشاركة في تهنئته بإدراج القصيدة."

ثم نشرت القصيدة.

وقد تكلمت أيضا عن "المبشر" جريدة "الترقي" التونسية الصادرة في 5 نوفمبر/ تشرين 2 سنة 1905 حيث قالت عن محررها آنذاك:

"سرنا خبر تسمية رفيقنا السيد شرشالي محمد بن أحمد محرر جريدة المبشر الرسمية بالجزائر قاضيا عدلا بالمنصورة وقد كان تلميذا بمدرسة الجزائر وله منها شهادة عليا في اللغة العربية كما أن له خبرة واسعة باللغة الفرنسية فنقدم تهنئتنا لرفيقنا الكريم ونتمنى له طول السعادة والبقاء".

ثانيا- جريدة النصيح

صدرت بعاصمة الجزائر في حدود سنة 1899 أصدرها مستعرب فرنسي من أصل يهودي اسمه (ادوار غزان) كان هذا الرجل من موظفي الولايات العامة وأحيل على المعاش، وهو إلى جانب ذلك يشتغل بالتأليف، ومن مؤلفاته قاموس فرنسي عربي صغير باللغة الدارجة. كانت هذه الجريدة صغيرة الحجم كبيرة الحروف تحتوي على أخبار ملفقة ودعاية مزيفة على بعض الحوادث المحلية والتعليق عليها بما فيه خدمة للاستعمار الفرنسي وتضليل للقراء المسلمين وتطبع في مطبعة صغيرة يملكها مؤسس الجريدة.

ولم يقع عليها أي إقبال حتى كادت تكون من النكرات التي لا يشعر القارئ بوجودها. وساعد صاحب الجريدة المذكورة في التحرير أحد تلامذة المدرسة الرسمية التي سميت فيما بعد بالمدرسة الثعالبية. وتعطلت هذه الجريدة قبل الحرب العالمية الأولى. (6)

ثم أعادت الولاية العامة بعثها من جديد بعد الحرب تحت إدارة الشيخ "صوالح" (7) ومن محرريها في هذا العهد مفتي الجزائر المشهور الشيخ أبو يعلي الزواوي بعد رجوعه من الشام فارا بنفسه من عدوان الأتراك.

ثالثا- جريدة الحق الوهراني

صدرت هذه الجريدة بالفرنسية في مدينة وهران سنة 1902 (8) لصاحبها مسيو "طاقي" المستشرق الذي كان قد قضى زمنا طويلا بمصر حتى أنه سمى ابنه السعدي. وكانت معتدلة اللهجة ذات مشرب نزيه.

ومن الأبحاث التي طرقتها قضية جبر الجزائريين على التجنيد بالجيش الفرنسي حيث قاومت هذه الفكرة مقاومة عنيفة.

وفي حدود عام 1910(8) ظهر لمؤسسها أن يضيف إليها ملحقا عربيا، فطلب من الشيخ عمر راسم أن يحرر ذلك الملحق ويكتبه بخطه وبصوره، ليطبع على الحجر، فأجاب لرغبته فكان هذا يحرر بالجزائر ويوجه ليطبع بوهران. ومن مؤيدي هذه الجريدة وأنصارها الشيخ "ابن رحال" وجماعة من مسلمي ندرومة وتلمسان(9).

رابعا- جريدة الأخبار

صدرت (10)هذه الجريدة بعاصمة الجزائر يوم 20 نوفمبر سنة 1902 وهي ملحق لجريدة Les Nouvelles الفرنسية(11)التي صدر عددها الأول بالجزائر سنة 1839 وسبب إصدار هذا الملحق هو أن أحد أصحاب هذه الجريدة، وهو المسمى "فكتور باروكان" حدث بينه وبين شركائه خلاف إثر اندلاع ثورة يعقوب قرب مدينة مليانة، وحدوث ما يعرف في تاريخ المقاومة الجزائرية بحادثة "مارغريت" وهذا الخلاف أفضى إلى استقالته من هيئة تحريرها، لأنه كان لا يرى رأي أصحابها في أسلوب سياسة الأهالي؛ فأصدر "الأخبار الأسبوعية" وجعل صفحتها الثامنة بالعربية، وجلب لتحرير هذه الصفحة طالبا يسمى محمد الزرد، ومن ثم تولى بعدئذ القضاء بالصحراء حيث توفي فيها. وكان من محرري هذه الجريدة عمر راسم حيث حرر فيها مقالين اثنين.

خامسا- جريدة كوكب إفريقيا

صدر العدد الأول من هذه الجريدة بعاصمة الجزائر يوم 17 ماي/ أيار 1907 (12) وهي جريدة شبه حكومية، طبعت بمطبعة بطرس فونطانا الحجرية التي تطبع "المبشر" و"المغرب" وسائر المطبوعات الحكومية، وقد جلب إلى تحريرها من قسنطينة أحد الموظفين الجزائريين، وقد نشرت جريدة الزهرة التونسية كلمات عن هذه الجريدة، في عددها 101 بتاريخ 06 جوان 1907.

"ظهرت في العاصمة الجزائرية جريدة أسبوعية باسم (كوكب إفريقيا) يحررها نابغ أديب، وهو الفاضل اللوذعي السيد محمود كحول

وقد وصلنا منها العددان الثاني والثالث فوجدناها، والحق يقال طافحة بالإفادات المهمة من سياسية وعلمية وصحية وتجارية وزراعية، تشهد لمحررها البارع بطول البال، وسعة الاطلاع، فنرحب بها ونتمنى لها الرواج والانتشار".

ونعرض على القارئ الكريم نموذجين من فصولها:

ـ نشرت مقالا في عدد يوم الجمعة 4 صفر 1833 و 3 جانفي كانون 2 سنة 1914 تحت عنوان (رئيس الوزراء أمام لجنة الأمور الخارجية) جاء فيه:

"قام جناب المسيو دوميرق رئيس الوزراء أمام لجنة الأمور الخارجية، ودارت المفاوضة في سياسة فرنسا بالشرق، فأفصح جناب عميد الوزراء عن ملك فرنسا بالشرق وخصوصا في تركيا فذكر المساعي الفرنسوية المعروفة في التهذيب والإسعافات وانتشار اللغة الفرنسية وتعليمها وزرع مدنيتها التي أقبلت عليها النفوس واكترعت من حياضها. وأعرب عن كفالة ترقي المشرق بالفرنسية وتأسيساتها المدار كية في هذا السبيل، ثم تخلص إلى التوافق الذي حصل بين فرنسا وتركيا والصدر الأعظم في المشائخ الخيرية الفرنسية النبيلة والتعليمية، وفيما يتعلق بالمدارس وتونس أوضح جنابه ملازمة السعي في تنمية المقاصد الفرنسية بالشرق وتوسيع وسائلها ونشر النفوذ الفرنساوي وبث لغته في الشعوب المشرئبة إليه، ثم أن عقد الاتفاق تضمن أمورا هامة تتعلق بمعاملة وأساليب محاكمة الرعايا الفرنسيين من سكان المغرب والبلاد الجزائرية والتونسية، وقد تطبق حسب الإدارة الفرنسية تسوية هذه المسائل الموقوفة منذ حين.

ـ وإلى القارئ الكريم نموذجا عن الأخبار المنشورة في هذه الجريدة وفي نفس العدد: (المغرب الأقصى: خضوع الأعراش)

"خرج الجنرال هني بقوة من الصبائحية فجال جولة سياسية وحربية، وجاءه رسل الأعراش المرابطين "زابان آلى آبنو" طلبوا الأمان بشروط. وقد أشعر كومندان "قصبة تادلة " بأن أعراشا من برابرة الجبال اغتصبوا قطعانا من المواشي للأعراش الخاضعة، فوجه لهم بجيش من أشياع "آيت ربدا" وعضده بفصيلتين من الصبائحية فانهزم الثوار وفروا إلى الجبال."

سادسا- جريدة المغرب

صدر العدد الأول من هذه الجريدة بعاصمة الجزائر يوم 10 أفريل سنة 1903 (13)ومؤسسها هو "بطرس فونطانا" أحدثها ليشغل بها المطبعة الحجرية التي أضافها إلى مطبعته الفرنسية وطبع بها بعض الكتب كرحلة الورتيلاني وغيرها من الرحلات، وهي أسبوعية الملحق لجريدة المبشر الرسمية لأنها تطبع على نفقة الولاية العامة ويحررها السيد مصطفى الرشاني الموظف بالولاية العامة الجزائرية، ويقول الشيخ عمر راسم في رسالته المؤرخة في 13 رجب سنة 1382 التي بعث بها إلى المرحوم البشير الفورتي بتونس:

"إن سبب نشر هاته الجريدة هو أن الوالي العام "جونار" الذي كان أحد أعضاء الوفد الفرنسي لدى شركة قناة السويس كان كثيرا ما يتردد على مصر ولاهتمامه بشؤون الجزائر تحدث مع الشيخ علي يوسف فيما ينشره بجريدة (المؤيد) من الانتقادات نحو معاملة فرنسا لرعاياها

الجزائريين، تلك الانتقادات الواردة عليها من بعض المراسلين الجزائريين، ووجد منه تأييدا لما نشره لمكاتبيه، وقال إن سبب ذلك عدم وجود جريدة بالجزائر. فاغتنم جونار تلك الفرصة معتقدا أن سبب ذلك هو عدم وجود جريدة عربية بالجزائر من شأنه أن يرضي الجزائريين فينشرون فيها ما يهمهم وبذلك يصرفون عن الاتجاه إلى الخارج ويستغنون عن النشر في الصحافة الشرقية التي كانت لا تردد على الجزائر إلا عن طريق التهريب والخفاء لأن الحكومة كانت تحجز دخولها، كل ذلك دعاه لإحداث جريدة (المغرب) التي كانت تنشر الأخبار الرسمية أو ما تنقله من كتب الأدب والوعظ ومشايخ المدرسة وفي مقدمتهم الشيخ عبد القادر المجاوي رحمه الله".

وقد تعرضت جريدة "الحاضرة" بتونس لذكر جريدة "المغرب" الجزائرية في عددها رقم 733 الصادر في 12 ماي 1903 فقالت تحت عنوان "صحافة الجزائر":

"اتصلنا بالعددين الأول والثاني من صحيفة المغرب التي كنا أخبرنا بظهورها في عالم المطبوعات بعاصمة الجزائر، وهي صحيفة سياسية أدبية علمية اقتصادية تجارية تصدر يوم الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع بمطبعة مسيو فونطانا صاحب امتيازها، الاشتراك منها في تونس 15 فرنكا في السنة و 08 فرنكات في الستة أشهر و 05 فرنكات في الثلاثة أشهر وقد تصفحناها فألفيناها جريدة بهية صحيحة العبارة طافحة بالإفادات التجارية والأخبار السياسية، فنرحب بقدومها ونرجو لها الإقبال".

سابعا- مجلة الإحياء

صدرت هذه المجلة بعاصمة الجزائر يوم 14 فيفري سنة 1907(14) وهي مجلة أدبية اجتماعية، تعد أول صحيفة فصيحة عربية صدرت في الجزائر في تاريخ إنشاء الصحافة العربية بها إلى ذلك العهد.

ومؤسسة المجلة فتاة فرنسية أسهم والدها: "دوريو" كان أستاذا بالمدرسة الفرنسية الثانوية بمدينة البليدة، فهو رجل منصف نزيه تعلمت ابنته التي سمت نفسها فيما بعد "جمانة رياض" اللغة العربية كتابة ونطقا، حتى أصبحت مشغوفة بها إلى حد بعيد، وساعدها على تجويد هذه المجلة بعض تلاميذ المدرسة، ولم تصدر منها إلا بعض الأعداد، حيث أن مؤسستها "جمانة رياض" ماتت قبل أن تبلغ العشرين ربيعا من عمرها، وقد ترجم لها المؤلف "فيليب دي طرازي في كتابه " تاريخ الصحافة العربية " في الجزء الأول صفحة 13 وفي الصفحة 25 من الجزء الرابع قال:

"وهذه السيدة الفرنسية الأصل هي منشئة باكورة المجلات العربية في عاصمة الجزائر، وتعرف في كتاباتها ومؤلفاتها باسم (جمانة رياض أو فاطمة الزهراء) وقد أحرزت الجائزة الأولى في آداب اللغة العربية عام 1911 بين جميع طلبة مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس، وكانت وفاتها عام 1914 في العاصمة المذكورة فكان أسى شديدا لدى عارفي فضلها من الأدباء والمستشرقين ولدينا من أثرها رحمها الله تعالى، رسالة مكتوبة، في الجزائر ما بين عام 1888 وبين عام 1907 حيث تبدأ المرحلة الثانية، وهي مرحلة الامتعاض والاستياء من التصرفات الاستعمارية الجائرة في بلاد الجزائر، وبداية التململ والاحتجاج بالقلم، وقد تبين من

استعراضها لوصف المرحلة الأولى حيث كانت الحكومة الفرنسية ترمي من وراء إنشاء هذه الصحف إلى تركيز الفكرة الاستعمارية بالبلاد، وحمل الشعب على استساغتها، والاقتناع بعدالة أغراضها، وقداسة رسالتها الدينية، هذا إذا ما استثنينا طائفة من هذه الصحف كجريدة "الحق" الوهراني ومجلة "الإحياء" اللتين كانتا تتمتعان نسبيا بجانب من النزاهة وصدق اللهجة والمعارضة المحتشمة(15).

الهوامش والتعليقات

(1) نشرت الحلقة الأولى من "تاريخ الصحافة العربية في الجزائر" في صحيفة "الشباب الجزائري" الصادرة بتونس، السنة الثانية، العدد 20 فيفري 1961. أما العناوين الفرعية فهي من وضع المحقق.

(2) يعني بقبل اليوم ..يوم صدور الحلقة كمقال في مجلة الشباب فيفري 1961

(3) في حدود معلوماتنا لم تسعف الظروف المؤلف ليحقق هذه الأمنية.

(4) في النص الأصلي للمؤلف: كان صدورها سنة 1836 وتوقفها سنة 1930 بيد أن المعلومات التاريخية تؤكد أن ظهور "المبشر" كان في منتصف سبتمبر1847 كما سيذكر المؤلف فيما بعد، وهي ثالث صحيفة ناطقة بالعربية في العالم, وأول صحيفة في المغرب العربي, أنشأتها سلطات الغزو الفرنسية بهدف مخاطبة الجزائريين ومحاولة استمالتهم مستعملة في ذلك شتى الأساليب. وخاصة لغة الترهيب ولغة الترغيب, وبصفة عامة فقد كانت هذه الصحيفة أحد أدوات الحملة الاستعمارية لمسخ الشخصية الجزائرية، وعندما لم تحقق أهدافها توقفت عن الصدور سنة 1927 وقد تميزت بالركاكة اللغوية والميل للعامية تحقيرا للغة العربية.

(5) احتوى النص الأصلي على العبارة التالية:(أي عند بلوغها السنة العاشرة) وقد آثرنا حذفه نظرا للخطأ التاريخي.

(6) صدرت صحيفة "النصيح" يوم 1899/10/11 بالجزائر العاصمة وتوقفت عن الصدور يوم 1902/5/21

(7) يؤكد الدكتور زهير إحدادن أن صحيفة "النصيح" الثانية أسسها الشيخ صوالح سنة1921 وبالتالي فهي ليست وريثة الصحيفة الأولى.

(8) صدر أول عدد من صحيفة "الحق" الوهرانية سنة 1901 وتوقفت سنة 1914 وكانت إلى غاية سنة 1912 تصدر بالفرنسية وبدأ ملحقها العربيّ بتاريخ 1912/5/01

(9) نهاية للحلقة الأولى، وكانت بالعبارة الإذاعية التالية: (هنا تختم حلقتنا الأولى من استعراض تاريخ الصحافة العربية بالجزائر من مرحلتها الأولى، وموعدنا بحضرة القارئ الكريم في الحلقة الثانية من هذه السلسلة حيث نواصل الحديث عن بقية الصحف العربية التي أنشئت بالجزائر في المرحلة الأولى المتراوحة بين عام الاحتلال 1830 وعام 1907.)

(10) بداية الحلقة الثانية، وكانت كالتالي : (نواصل حديثنا عن الصحافة العربية بالجزائر في مرحلتها الأولى المتراوحة بين عام 1830 وعام 1907 وقد كنا تحدثنا في الحلقة الأولى من هذه الدراسة عن صحيفة "المبشر" وصحيفة "النصيح" وجريدة "الحق الوهراني" واليوم نحدث القارئ الكريم عن (الصحافة) الصحف الباقية الآتية).

(11) جريدة Les Nouvelles تختلف عن جريدة "الأخبار" التي يتكلم عنها المؤلف. وقد كانت تصدر بهذا الاسم منذ يوم 1839/7/12 ثم توقفت قليلا ثم بدأت تظهر من جديد في سنة 1902 في اتجاه سياسي جديد، وصارت تصدر باللغتين ابتداء من سنة1903 توقفت عن الصدور سنة1934.

(12) توقفت صحيفة "كوكب إفريقيا" عن الصدور يوم 1914/7/31.

(13) توقفت صحيفة "المغرب" عن الصدور يوم 1903/7/28.

(14) توقفت صحيفة" الإحياء" عن الصدور يوم 1907/5/14.

(15) جاء في ختام هذه الحلقة: (وهنا نودع حضرة القارئ الكريم إلى لقاء في حلقاتنا الآتية حيث نواصل استعراض بقية مراحل تاريخ الصحافة الجزائرية. والسلام

الفصل الثاني

صحافة المقاومة القلمية في الجزائر

في مواجهة الاحتلال

كما أسلفنا الحديث (1)عن المرحلة الأولى من تاريخ الصحافة العربية بالقطر الجزائري أعني المرحلة المتراوحة بين عهد الاحتلال سنة 1830 وبين عهد التحرير وتركيز أقدام الاستعمار بوسائل الإغراء والترغيب تارة ووسائل القمع والترهيب تارة أخرى واليوم نحدث القارئ الكريم عن تاريخ الصحافة الجزائرية في مرحلتها الثانية مرحلة المقاومة القلمية والكفاح السياسي بعد المكافحة بالغضب الصاعق طيلة سنوات.

فالجزائر المسلمة العربية الضنينة بترابها وتراثها على الأجنبي الغاصب، وبدينها على محاولات التنصير والتمسيح التي يقوم بها الآباء البيض في أقصى البلاد، لم يفت من عضدها، أو يخمد من جذوة حماسها شيئا، رغم تلك الوسائل الشيطانية العجيبة إلا أنها ظلت صامدة كالقدر، تتحدى الأخطار، وتسخر من الأحداث العادية، وتصرخ في وجه المستعمر الغاصب بسلاحها، وقلمها، ولسانها. فالمقاومة الجزائرية العتيدة قد استقرت في الميدان، منذ سقوط السيف من يده، وهي مثخنة بالجراح، وليس لأحد أن ينسى تلك المقاومة الصارمة التي وقعت بجنوب البلاد الجزائرية، خاصة بواحة الزعاطشة سنة 1853 ولا واقعة (الأغواط) المشهورة، ولا مقاومة (أولاد سيدي الشيخ) التي قام بها سنة 1864 بطل من أبطال الجنوب الغربي للبلاد الجزائرية الباشاغا سليمان بن حمزة بن بوبكر، ولا ثورة جبال الجرجرة الأبية معقل الهمة والشرف سنة 1871 تحت قيادة الباشاغا السيد الحاج محمد المقراني، بإعانة الشيخ محمد بن الحداد ، ولا انتفاضة السيد محمد البدوي في نفس الآونة وبعاصمة

الجزائر نفسها، حيث وقف في ساحة الحكومة، وأعلن استقلال البلاد التي ألهبوها المرار العديدة نيرانا حامية على الفرنسيين الغاصبين وأهمها ثورة 1953 كل هذه الثورات المتتالية تثبت أن الجزائريين لم يسلموا أعناقهم طوعا للجلادين بل كانت مقاومتهم للاستعمار مستمرة وكانت الحرب بينهم وبين فرنسا سجالا وكانت الوقائع متوالية فما انتصر الفرنسيون مرة إلا أعاد الجزائريون الأحرار الثورة مرة أخرى إلى أن كانت الثورة المقدسة الكبرى سنة 1954.

أشكال المقاومة السياسية

أما المقاومة السياسية فقد اتخذت أشكالا مختلفة منذ توطد قدم الاحتلال بالبلاد إلى قيام الثورة الكبرى، وقبل أن نتكلم عن دور الصحافة العربية في هذه المقاومة، يمكننا أن نقسم مرحلة المقاومة الأولى "اللاحزبية" إلى ثلاثة أدوار:

ـ دور سلبي

ـ ثم دور إيجابي أول من 1905 إلى 1918.

ـ ودور إيجابي ثان من 1918 إلى 1935.

الدور السلبي:

كانت المظاهرات الأولى التي قام بها الجزائريون بعد إخفاق الثورات المتعاقبة، هي للهجرة الجزائرية للبلاد الإسلامية الحرة، فما كادت جموع الجزائريين تعتقد أنه حكم عليها بالذلة والهوان تحت النير الفرنسي الفظيع، حتى أخذت تغادر البلاد زرافات ووحدانا فقصد بعضها

البلاد التونسية الشقيقة، وسار البعض الاخر إلى الاسكندرية وبلاد الشام وفلسطين حيث وجدوا إخوة في الله والعروبة أشعروهم أنهم غير غرباء في بلاد إسلامية عربية تقاسمهم الأفراح والجراح، ولم يزل أبناء هؤلاء المهاجرين يعمرون تلك الجهات كموطنين صالحين. ولما أعلنت فرنسا سنة 1912 قانون التجنيد الإجباري للمسلمين ازدادت هجرة الجزائريين إلى البلاد الإسلامية الأخرى كي لا يقاتلوا تحت الراية التي حاربوها عشرات السنين.

الدور الأول الإيجابي:

ـ حمدان خوجة

قبل أن نتحدث عن المقاومة الصحافية تجدر بنا "صيانة لرسالة التاريخ" أن نتحدث عن السيد حمدان عثمان خوجة" (2)، فلقد كان أول جزائري رفع عقيرته بالاحتجاج الصارخ منذ فجر الاحتلال البغيض، إذ أوفده أهل مدينة الجزائر سنة 1832 على رأس وفد يطالب حكومة فرنسا:

ـ بالإقلاع عن مظالمها وشرورها

ـ وإرجاع ممتلكات المسمين إلى أيديهم

ـ والاعتراف لهم بحق الحياة.

وقد ترك لنا هذا الشهم الكريم أقدس وثيقة، من أثمن وثائق التاريخ الحديث، إذ ألف كتابا ضخما سماه "مرآة الأحوال" نقله إلى الفرنسية أحد الكتاب اللبنانيين(3) وطبع في مجلد ضخم سنة 1833(4) بمدينة باريس وما امتاز به هذا السفر الجليل:

أ- إثبات أن عدد سكان القطر الجزائري كان عند الاحتلال عشرة ملايين من النفوس (والسيد حمدان هذا كان المدير بمصلحة الضرائب في الحكومة الوطنية الجزائرية قبيل الاحتلال).

ب- سجل أعمال اللصوصية والنهب التي قام بها الجند الفرنسي، وصور أبشع صورة لتلك المنكرات التي ارتكبتها فرنسا دون وازع من ضمير، وأثبت بوثيقة فرنسية على يد محضر فرنسي أن الفرنسيين كانوا يسرقون عظام موتى المسلمين من المقابر الإسلامية، ويرسلون بها ضمن عظام الحيوانات لمعامل تكرير السكر بمرسيليا.

ج- بيان عن الأملاك والأرزاق المصادرة التي اختلسها الطغاة أثناء الاحتلال، وحكاية ما رأى المؤلف منها رأي العين.

وقد رجع السيد حمدان من فرنسا خائبا بعد المجهود الذي بذله ولم يرجع الاستعمار عن عناده بل أمعن في طغيانه وبقي كتاب "مرآة الأحوال" مرآة للأجيال.

وجاء دور الصحافة في المقاومة نتيجة لأحداث سياسية كبيرة مختلفة بالقطر الجزائري منها أن فرنسا أحدثت سنة 1901 مجلس النيابات المحلية، إذ اعترفت فرنسا للجزائر بمبدأ الاستقلال المالي صوريا، إلا أن تلك المجالس كانت تتركب من ثلاثين فرنسيا إزاء ثلث من الجزائريين، بين تدخل الحكومة في انتخابهم تدخلا ساحرا، لكن النهضة التركية أو الانقلاب العثماني الذي تسميه أوروبا إذاك، وفي طليعتها فرنسا، "حركة شبان الأتراك" Mouvement Des jeunes Turques هذا الانقلاب العثماني قد أحدث تغييرا في حالة البلاد المعنوية. وكان العدوان الطلياني على ولايتي طرابلس وبرقة ضغطا على الإيالة فأخذ المسلمين يتململون

ويتذمرون، ونشأت في البلاد صحافة ضعيفة أخذت تعبر عن استياء الرأي العام الإسلامي في حالته الوضيعة.

ـ قانون الأندجينا

أصدرت الحكومة الفرنسية آنذاك قانونا استثنائيا خاصا يسمى بقانون "الأندجينا" يطبق على المسلمين، فقط فكانت أهم بنوده:

1. يعاقب بالسجن كل من لم يدفع الضريبة حالا؛
2. يسجن كل من سكن في جهة نائية ويحطم بيته؛
3. ومن اجتمع مع إخوانه فكانوا فوق الخمسة عوقبوا بتهمة عقد اجتماع دون ترخيص؛
4. لا يمكن للجزائري أن ينتقل من بلدة إلى بلدة أخرى وإن كانت مجاورة له إلا بإذن خاص.

أما القبائل الجزائرية كلها في السهول وفي الجبال، فقد كانت خاضعة لحكم (الضمان الجماعي)(5) بحيث إذا احترقت غابة أو وقعت جناية فسائر أهل القبيلة شركاه في المسؤولية.

وهذا الجو السياسي الجديد مع ما يكتنفه من أحداث في الشرق وما يتأجج في صدر كل جزائري من ثورة على العسف والعدوان، كل ذلك كان عاملا يبعث صحافة عربية بالبلاد، مثل "المسلم" و"الإسلام" و "الهلال" و"الإقدام" و "الفاروق" و "الصديق" و "البريد" الجزائرية و "ذو الفقار" وكما كان باعثا رجالا رجال مكافحين أمثال " أحمد بن إسماعيل بوضربة" و"الحاج عمار" و"الصادق دندن" و"عمر قدور" والأمير "خالد"

و"ابن الرحال" و"البهلول" و"التاجر محمد بن بكير ومحمد عز الدين الغلال وأبي منصور الصنهاجي وغيرهم.

ولم تقف الحكومة مكتوفة اليدين إزاء هذه الانتفاضة الجديدة على صنعها فكانت تساند بعض الجرائد كالنجاح ولسان الدين وتستثني البعض الآخر كأخبار الحرب للقيام بسياسة التضليل التقليدية التي كادت أن تكون من اختصاص الاستعمار في كل بلد يدنسه بأقدامه القذرة غير عالمة أن تلك السياسة تعود دائما بالنتائج المعكوسة كالمريب الذي يقول خذوني.

في ذكر صحف المرحلة الثانية

وعلى ضوء هذا الإطار التاريخي الذي قدمناه بين يدي القارئ الكريم ندلي ببيان عن صحف هذه المرحلة حسب الترتيب الآتي:

أولا- مجلة الجزائر

أنشأت هذه المجلة بعاصمة الجزائر وصدر العدد الأول عنها يوم 27 أكتوبر تشرين أول 1908 أنشأها الفنان المرحوم الشيخ عمر راسم ولم يتمكن إلا من إصدار عددين منها فقط وذلك لانعدام المطابع العربية بالجزائر. حيث أن كل الحروف التي تمكن بها من تصفيف مجلته لم تكف إلا لطبع أربع صفحات ولذلك كانت صغيرة الحجم.

وقد صادفت هذه المجلة إقبالا عظيما لأنها كانت تعالج مواضيع حية كالاحتجاج ضد التجنيد الإجباري وفداحة الضرائب- وكان مفتي الجزائر آنذاك الشيخ محمد السعيد بن زكري، قد طلب من صاحبها أن

يحرر منشورا كرسالة بمضيها بخط يده تنشر في المدائـــن للدعايـــة لـــها وترغيب الأمة في قراءتها. وقد صادرتها الحكومة الفرنسية بعد أشهر من ولادتها لصدق لهجتها وإقبال الشعب على اقتنائها.

ثانيا- جريدة المسلم

صدرت هذه الجريدة بعاصمة الجزائر يوم 14 أكتوبر (تشـــرين الأول) سنة 1909 وكان مديرها السيد "دليس" ولم تعمـــر طويـــلا بحيـــث كانت الإدارة تضايقها إلى أن اختنقت أنفاسها بعـــد سبعة أشـــهر مـــن صدورها.

ثالثا- جريدة الإسلام

صدرت بعاصمة الجزائر يوم 18 ديسمبر (كـــانون الأول) ســـنة 1909 وكان يحررها الوطني السيد الصادق دنـــدن وكـــان يشـــدد فيـــها الحملات ضد الإدارة ويحتج بلهجة صادقة ضد السياسة العنصرية التـــي كانت تسلكها فرنسا في الجزائر قصد بث العداوة والبغضاء بين الطوائـــف الإسلامية المتآخية في البلاد. وقد صادرتها الحكومـــة بعـــد ســـنة مـــن صدورها كشأنها مع ســـائر الصحـــف النزيهـــة ذات النزعـــة القوميـــة الصادقة.(6)

رابعا- جريدة الهلال

صدرت هذه الجريدة ببلدة سكيكدة من مراسي عمالـــة قســـنطينة أنشأها المستشرق اندريه "اندراوس لانفو" يوم 30 أفريـــل نيســـان ســـنة

1910(7) وكانت تهاجم بشدة سياسة الحكومة التعسفية إزاء الأهالي المسلمين وتطالب في هجمة عنيفة بإلغاء قوانين "لانديجانا" الاستثنائية الجائرة المسلطة على السكان المسلمين خاصة وقد ضايقتها الحكومة حتى أصدرت أمرا بتعطيلها في اكتوبر (تسرين أول) سنة 1911.

خامسا- جريدة الهلال أيضا

بعد احتجاب جريدة الهلال التي كان يصدرها السيد اندراوس انقو إثر قرار تعطيلها، أنشأ السيدان الصادق دندن وعز الدين القلال بعاصمة الجزائر جريدة تعمل باسم "الهلال" وذلك يوم 2 أوت سنة 1913 وسلكت الجريدة مسلك سميتها المؤودة فكان لها نفس المصير الذي عرفته من لدن الإدارة الاستعمارية بالجزائر.

سادسا- جريدة البريد الجزائري

وهي جريدة أسبوعية إخبارية أصدرها بعاصمة الجزائر السيد محمد عز الدين القلال يوم 28 أوت/ آب سنة1913 (8)وقد ترجم لصاحبها المؤلف السيد فيليب دي طرازي في الصفحة 260 من كتابه" تاريخ الصحافة العربية" فقال:

"يعد هذا الأديب من أكتب الصحفيين في المغرب الأوسط وأرقاهم، وقد تلطف فنظم تقريضا شعريا لكتابنا هذا فقبلناه بالثناء الوافر ونشره بمزيد الافتخار".

وقد تكلمت عن السيد عز الدين القلال "إظهار الحق" التونسية في عددها رقم 91 المؤرخ بيوم 2 محرم 1324 الموافق ليوم 25 فيفري شباط

سنة 1906 ويتبين من كلامها أن السيد محمد عز الدين القلال كان في ذلك العهد مديرا لجريدة تسمى "الاتحاد" غير أننا لم نعثر على ذكر هذه الجريدة في أي مصدر من المصادر التي بين أيدينا. قالت الجريدة:

"حل في هذا الأسبوع بالديار التونسية الفاضل الوجيه السيد عز الدين القلال صاحب امتياز جريدة الاتحاد وقد تراكن مع جناب المسيو فيكتور باروكان مدير جريدة "الأخبار" الجزائرية وصار محررها الأول وقد صاحبه في هذه زيارة المدير المذكور حيث يقيمان بين ظهرانينا أسبوعا ويتوجهان معا إلى الديار الباريسية لقضاء مهمات سياسية فنرحب بقدومهما ونسأل لهما السامة في الضعن والإقامة".

سابعا- جريدة ذو الفقار

صدرت هذه الجريدة بعاصمة الجزائر في أكتوبر /تشرين الأول سنة 1913(9) اشترك في إنشائها السيد أبو منصور الصنهاجي وعمر راسم، والأول هو صاحب امتيازها، أما الثاني فكان يحررها ويكتبها ويصورها بيده، وهي جريدة انتقادية متطرفة كانت تحمل الحملات الشعواء على الصهيونية والخونة المنافقين وكان محررها يحاول أن يقتدي بالإمام عبده في إصلاح المجتمع الجزائري. ولم يصدر من هذه الجريدة غير أربعة أعداد، وتوقفت في الصدور، لأن الإدارة الاستعمارية هددت صاحبها وأرادت أن تفرض عليه ما لا يوافق عليه وذلك إثر ظهور بوادر الحرب العالمية الأولى.

ثامنا- جريدة الفاروق

صدر العدد الأول من هذه الجريدة بعاصمة الجزائر يوم 28 فيفري (شباط) سنة 1913 (10) وهي جريدة عصامية علمية إخبارية اجتماعية أدبية مصورة تصدر كل يوم جمعة، اشترك في إنشائها السيدان أبو حفص عمر بن قدور وعمر راسم؛ فالأول كان يحرر قسم الأخبار منها والثاني كان يحرر افتتاحيتها بدون إمضاء وهو الذي اختار لها هذا الاسم حيث أن السيد عمر بن قدور كان يشتغل مصففا بمطبعة "كريزاشو" الإيطالي، رغب من زميله عمر راسم أن ينشئ جريدة بمساعدته فأجابه لذلك. إلا أن المعاشرة لم تطل بين الزميلين فانسحب عمر راسم تاركا زميله عمر بن قدور وحده على رأس الجريدة إلى أن اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى، ففر إلى مدينة الأغواط بجنوب الجزائر ومكث هناك كامل مدة الحرب، وما وضعت الحرب أوزارها سمح له بالعودة إلى العاصمة الجزائرية، حيث استأنف نشاطه الصحفي واصدر "الفاروق" من جديد في شكل مجلة. وكانت الجريدة والمجلة تطبعان بالمطبعة الإيطالية المذكورة وهي مطبعة حجرية.

تاسعا- جريدة أخبار الحرب

أصدرت الحكومة الفرنسية هذه الجريدة بعاصمة الجزائر في الأيام الأولى من قيام الحرب العالمية الأولى سنة 1914 وكان يحررها بالولاية العامة بعض عملاء مصالح الشؤون الأهلية وفي طليعتهم محمود كحول.

وتطبع بالمطبعة الحجرية وتنشر فيها، عدا البلاغات الحربية، مقالات طويلة في الدعاية لفرنسا وحلفائها واستدراج المسلمين للتطوع في الحرب، وقد كان عددها الأول خاصا لنشر الفتاوى الدينية والتوصيات التي كانت توحي بها الإدارة الفرنسية إلى الموظفين الرسميين في المساجد الزوايا وإلى أولياء الأمر الخياليين في كل من تونس والمغرب الأقصى وقد صدرت ذلك في مثال عريض بعنوان:

"خالص صدق مسلمي إفريقيا لأم أوطانهم الأمة الفرنسية" وبعد أن حمل الكاتب على تركيا وأنور باشا (جان تورك) لدخول تركيا إلى جانب ألمانيا في الحرب قال:

"أما المسلمون القاطنون في المستعمرات الفرنسية بأفريقيا، بين رعايا الحماية، فقد انتهزوا هذه الحادثة فرصة لإفصاح عن صدقهم التام ومحبتهم الأكيدة لفرنسا. فإن المفاتي القضاة وغيرهم من المشائخ والعلماء الذين لهم الباع الطويل في الشريعة المحمدية والدين الحنيف الشريف.. والأعضاء المسلمين في المجالس التي ينتخبها الأهالي والرؤساء المسلمين والأعيان وحتى الأصاغر من الفلاحين فقد قاموا للإعراب عما في ضمائرهم لدولتهم الفرنسية الفخيمة من خالص الصدق وكامل التعلق وصميم المودة التي لا يبليها الزمان ولا يفتيها تعاقب العدوان وقد اصطفينا من بين الألوف المؤلفة من تصريحاتهم للمقالات الصادرة من مشائخ الطرق الصوفية نشرناها هنا بعد خطاب جلالة سلطان المغرب الأقصى وحضرة باي تونس. ومن تصفحها يجدها مفيدة بليغة مطابقة للشرع وللطبع، يتحقق من يقرؤها من أمر واضح لا يختلف فيه اثنان ولا يتناطح فيه عنزان ولا يجد المعارض له سبيلا وهو أن رجال دولة تركيا

جنوا جنونا عظيما بإشراك المملكة العثمانية مع ألمانيا في الحرب وهي جناية فظيعة مرقوا بها من ربقة الإسلام، وتنصلوا من الجماعة المحمدية".

وبعد هذا المقال الافتتاحي الطويل يأتي في هذا العدد الخاص نشرة الفتاوى والتوصيات على الترتيب الآتي:

1. من داودي أحمد بن محمد شيخ زاوية سيدي منصور ابن جباه من قبائل زواوة؛

2. خطاب جلالة مولاي يوسف؛

3. خطاب الحضرة العلية محمد الناصر؛

4. من محمد الكبير بن محمد البشير بن أحمد التجاني إلى أحباب طريقة جده في جميع البلدان؛

5. من محمد العروسي شيخ زاوية "قمار" التيجانية؛

6. من محمد الصغير بن الشيخ المختار شيخ الطريقة الرحمانية بأولاد جلال؛

7. من عمر بن علي بن عثمان شيخ الطريقة العثمانية بزاوية "طولقة"؛

8. من الشريف تكوك أحمد شارف شيخ الطريقة السنوسية في زاوية أولاد شافع؛

9. من إشراف دار وزاف إلى فقراء طريقتهم الطيبية؛

10. من محمد الهاشمي بن ابراهيم شيخ الطريقة القادرية بتقرت وعميش؛

11. من عبد الرحمن بن الشيخ الميسوم شيخ الطريقة الشـاذلية بقصر البخاري؛

12. من الشيخ سيدي إبراهيم كبير الزاوية القندوسية "بقنادسة"؛

13. من مفتي المالكية ومفتي الحنفية بالجزائر؛

14. من المفتي المالكي بن الموهوب والمفتـي الحنفـي بـاش تارزي بقسنطينة؛

15. من كبار مشائخ الطرق القادرية والرحمانيـة والعيسـاوية بتونس إلى جناب معتمد فرنسا المقيم العام بتونس؛

16. من شيخ زاوية سيدي الحلفاوي محمد الحلفاوي بتونس؛

17. من محمد الصادق الباهي شيخ زاوية سيدي الباهي؛

18. من عبد الواحد المحرزي شيخ زاوية سيدي محرز؛

19. من الشاذلي البكري شيخ زاوية سيدي البكري؛

20. من الشيخ الطاهر الشريف شيخ الطريقة العيساوية بتونس؛

21. من الشريف شيخ الطريقة الاسلامية بتونس.

وإلى القرئ الكريم نموذجا صغيرا في مضمون تلك التوصيات:

"من زوايا الجزائر إلى كافة مقادمنا وإخواننا، بعد السلام، فغـير خفي عنكم أن زاويتنا بينها وبين الدولة الفرنسية العزيزة، تعلق لا مزيـد عليه حتى صرنا معا كالأصابع الملتصقة بالراحـة، فنحـن وإياهـا ذات واحدة، وما يصيب أحد الطرفين يؤلم الآخر، فعليه فإننا نفضح أفعال دولـة تركيا الرديئة التي عدلت عن طريق الصـواب، وخرجـت عـن الدين الإسلامي بانضمامها إلى الألمان.. إلخ".

وهذا نموذج آخر عن توصيات زوايا تونس:

"نحن ندعو الله بتأييد دولتنا الحاميـــة، ونصرهـــا علـــى العـدو الوحشي، لأن نصر فرنسا نصر للإسلام الذي تحترم فرنسا دائمـــا وأبـــدا قواعده وعوائده."

وهذا نموذج آخر عن بعض عناوين مقالاتها:

- المجاريح المسلمون من جيش فرنسا بخير وعلى خير؛
- انهزام تركيا أمام جيوش الحلفاء؛
- الخاتون مدام لاتور قرينة ســمو الوالــي العــام علــى البــر الجزائري تتفقد المرضى والمجاريح من العسكريين المســلمين وتتصــدق عليهم بالحلويات؛
- رسالة من تيرايور مسلم في صف القتال.. ورئيس الجمهوريــة بونكاري في صف القتال.

وهذه بعض النماذج عن هذه الجريدة التي كانت الحكومــة إلــى جانب ذلك تجدد فيها الوعود المعسولة للجزائريين بتمكينهم من حقوقــهم المشروعة بمجرد انتهاء الحرب، تلك الوعود التي تبخرت في الفضاء كما تبخرت دماء أبناء الجزائر في الفضاء قربانا لنصرة فرنسا على أعدائــها في الحرب، فكان جزاؤهم منها جزاء "سنمار".(11)

الدور الإيجابي الثاني:

كان من نتائج (12) هذه المقاومة المتواصلة عبر الســنين، هــذه الثورة الكبرى العارمة ثورة نوفمبر/ تشرين الثاني 1954 والتي ســتنتهي بالنصر المحقق للأمة الجزائرية المجاهدة، الصــاعدة كــالعملاق المــارد تبتغي فرض وجودها في دنيا الأحرار، ينتهي الدور الأول الــذي حدثنــا

القارئ عنه مع انتهاء الحرب العالمية الأولى وقد جندت لها فرنسا من مسلمي الجزائر ما يزيد عن الأربعمائة ألف رجل، مات منهم في ميدان الحرب ما يزيد عن الثمانين ألف علاوة على أن فرنسا إلى جانب ذلك جهزت ثمانين ألف من الجزائريين يعملون في المعامل الحربية والمدنية بفرنسا.

وإذا كان الجزائريون يقومون بذلك المجهود الحربي العظيم إجباريا كانت النخبة منهم تطالب برفع المظالم وبالتسوية في الحقوق وتندد بمساوئ النظام الاستعماري العفن. وقد مع من هذه الطبقة أمثال عمر بوضربة وعباس بن حمانة الذي اغتاله الاستعمار غدرا ببلدة تبسة. وهو أول من أسس مدرسة حرة عام 1913 بتبسة، ولم ينحصر نشاط هؤلاء الرجال بالجزائر بل انتشرت القضية في فرنسا واحتضنها ذوو الضمير الحر من الاشتراكيين -أيام كانت الاشتراكية بفرنسا صادقة وقد تولى النضال فيها عن حقوق المسلمين الجزائريين رجال في أمثال جونجريس الزعيم الاشتراكي الكبير والبان روزي وغيرها.

ثم ماذا كان نصيب الأمة الجزائرية مقابل جهودها وثمنا لدمائها سوى تلك الوعود المعسولة التي كانت فرنسا تغدقها عليهم بسخاء وبدون حساب؟

يد فارغة وأخرى لاشيء فيها.. وعد ينفذ بعد الحرب.

على أن جبال الأوراس لم تقتنع بهذه المطالبة وهذه الوعود فامتنعت عن تسليم أبنائها للجندية الفرنسية، ونطق البارود من جديد بين الجانبين. بينما التجأ ما يزيد عن المائة ألف من الشبان المسلمين

الجزائريين إلى الغابات والجبال فرارا من العمل تحت الراية الفرنسية الاستعمارية.

انتهت الحرب الكبرى، ورأت فرنسا أنه لابد لها من عمل شيء للجزائريين من قبيل التضليل، وذر الرماد في العيون على الأقل، فأصدرت يوم 4 فيفري/ شباط سنة 1919 قوانين تلغي بها "الاندجينا" التي تحدثنا عنها في ـ سابقا ـ وتسوى فيها بين سائر السكان من حيث الضرائب، فقد كان الجزائريون يدفعون أضعاف ما يدفعه الأوروبيون، وكانت عليهم إلى جانب ذلك ضرائب خاصة. أما من حيث الحقوق السياسية فقد اكتفت قوانين 4 فيفري/ شباط بزيادة عدد الناخبين الجزائريين بعدما كانوا في دائرة خاصة ضيقة لا يشارك فيها إلا التجار وأرباب الأملاك. وهكذا خيبت فرنسا بهذه الإصلاحات السخيفة آمال الجزائريين.

ـ الأمير خالد

ولأول مرة في تاريخ الجزائر رأت الأمة زعيما سياسيا مقداما جريئا.. هو الأمير خالد بن محي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله. وقد كان هذا الأمير عمل برتبة ضابط كبير في الجندية الفرنسية، وشارك الفرنسيين حروبهم وآلامهم، فما انتهت الحرب حتى شكل وفدا أم به ساحة (فرساي) حيث كان الرئيس الأمريكي (ولسون) يحاول عبثا فرض مبادئه التي نادى بها زمن الحرب، ومنها حرية سائر الأمم في تقرير مصائرها.. ولكن سرعان ما علم الجزائريون –كما علم التونسيون والمغاربة والعالم أجمع– إن تلك المبادئ لم تكن في نظر

أوروبا إلا خديعة من خدع الحرب، وأن المنتصر الحقيقي في الحرب الكبرى الأولى، إنما هو الاستعمار والطغيان الأوروبي.

رجع الوفد الجزائري خائبا، وجمع الأمير لأول مرة بالجزائر هيئة سياسية أسماها "اتحاد النواب المسلمين" وقد كان الأمير يخوض المعارك الانتخابية أثناء ذلك فانتخبته الأمة مستشارا بلديا ثم مستشارا ماليا ثم مستشارا عاما. ورأى ضرورة إنشاء جريدة تكون لسان حال هيئة السياسة فأسس جريدة "الإقدام"

جريدة " الإقدام "

تأسست الإقدام بعاصمة الجزائر يوم 4 ماي/ أيار سنة 1920(13) فكان يعالج فيها آفات المجتمع ويناهض السياسة الاستعمارية بالبلاد ويندد بالخونة والعملاء وينادي بوجوب إصلاح الحالة بالجزائر على قاعدة تسوية الجزائريين بالفرنسيين في كل شيء ودخول الجزائريين لمجلس النواب الفرنسي، وهي في الحقيقة سياسة اندماج وهو منتهى ما سمحت به الظروف آنذاك على أن الاستعماريين كانوا يرون فيها الخطر الداهم الذي يهدد مصالحهم ونفوذهم بالبلاد.

وإلى القارئ بعض النماذج من فصول جريدة الإقدام التي كانت تصدر بالعربية والفرنسية ويشترك في تحريرها أقلام حرة صادقة.

في السياسيات:

في العدد 29 الصادر يوم الجمعة 30 شعبان 1339/ 29 أبريل سنة 1921 تحت عنوان "كتاب مفتوح إلى وزير الحربية" وبقلم الأمير خالد:

"كانت الأمة الإسلامية الجزائرية تنتظر قدومكم انتظارها للمسيح فحسبته أن لسفركم غرضا غير زيارة المعرض، وإنكم تستمعون إلى رغائبها، وتشاهدون حالها بعين الإنصاف، وتدركون ما تقاسيه من الآلام وعلى الأخص في هذا العام اليابس. كان في خلدها أنكم تزورون على الأخص العمارات التي أنهكتها المجاعة. ولكن رأت ويا أسفاه أن المضيف وأعوانه أحاطوا بكم إحاطة السوار بالمعصم وأقاموا لكم من أنواع الزينة في الاحتفال بقدومكم ما يبهر عيونكم ويشغلكم عن النظر ما وراء المهرجان في مآس وآلام.. والله يعلم أن هذه الاحتفالات الرائقة والابتهالات الرنانة، والشطح والرقص والمسابقة بالخيول والملاعبة بالأزهار إنما أقامته لتغطي أنظاركم عن النظر إلى الحقيقة ولتضرب على حال التعساء المنكوبين بحجاب كثيف".

ثم راح على هذا المنوال يشرح آلام الشعب ويبسط مطالبه العادلة في أسلوب كله حكمة واتزان.

وفي الاجتماعيات:

نشر الأمير في "الإقدام" عدد 38 من يوم الجمعة 30 ذي القعدة 1339- 5 أوت 1921 تحت عنوان "المجاعة بأبوابنا":

"إن طلائع جماعات المساكين أخذت تظهر، وكذلك صدرت في البلدان الأوامر بإلقاء القبض على التعساء النازحين من الجنوب ونواحي أخرى، وإجبارهم على الرجوع إلى بلدانهم. هذه محنة مخزية تقوم بها الإدارة، وهذه جريمة كبرى يقوم بها الأغنياء الذين يكتزون الذهب

والفضة ولا ينفقونها في سبيل تخفيف الآلام عن تعساء الأمة وفقراء البلاد".

وفي الدينيات:

نشر في نفس العدد تحت عنوان "الاهتمام بالباطل" فقال:

"يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الأول انعقدت جلسة الجمعية الدينية بالجامع الأعظم تحت رئاسة مفتي المالكية، وهذه الجلسة انعقدت بصفة محكمة للإطلاع والمفاوضة في جناية الشيخ محمد بن القائد علي، الإمام بجامع سفير، وبعد أن وبخوه أشد التوبيخ على ما صدر منه، هددوه بالعزل إن هو صمم على الأمر والنهي باللغة الجارية ومخاطبة الناس بما يفهمون(هكذا في النص).

ما أعظمه من ذنب وأكبرها جناية،

هذه كانت لهجة "الإقدام" الصادقة إلى جانب المطالبة برفع المظالم المختلفة.

وقد التف المسلمون حول الأمير خالد، ثم أخذت الأيام تبدي في شدة شكيمة الجزائريين، ومن صلابتهم في المطالبة بحقوقهم مما أزعج مضاجع الأوروبيين فتألبوا وتكالبوا وقاموا في الجزائر وفرنسا بحملات شعواء على المسلمين. ووقفوا صفا واحدا ضد مطالبهم المشروعة. واشتد ضغط المستعمرين على الحكومة إلى أن اضطروها لإرجاع قوانين "الاندجينا" من جديد، وإخراج الأمير خالد من أرض الجزائر.

لكن المقاومة لم تزد إلا شدة وانبعاثا واستمر الجزائريون يطالبون بواسطة نوابهم بتحقيق برنامج الأمير خالد الذي أصبح في تلك الأثناء إلى

ساعة قيام الحركة الوطنية الكبرى سنة 1926 ميثاقا قوميا جزائريا لا تقوم حركة إلا على أساسه.

وقد احتضنت فكرة الأمير صحفا أخرى تعاقبت على الجزائر بعد اختناق أنفاس جريدة "الإقدام"(14).

جريدة الصديق:

صدر(15) عددها الأول يوم 12 أوت/اب 1920 وهي جريدة علمية أدبية سياسية اقتصادية، مديرها وصاحب امتيازها "محمد بن بكير التاجر" من فضلاء بني ميزاب، وقد تولى رئاسة تحريرها المولود بن محمد الزريبي الازهري ، وتطبع بمطبعة "سرلال" بعد أن كانت تطبع أولا بمطبعة "كريزانشو" الايطالية، وقد ساهم في إنشاء "الصديق" الأستاذ عمر بن قدور الذي كان يعمل مصففا بالمطبعة الإيطالية المذكورة، وكانت هذه الجريدة من أشد جرائد عصرها تهجما على السياسة الاستعمارية وعلى الخونة من عملائها. ولقد كان مآلها مآل سابقاتها من الصحف التي لا تهضمها معدة الحكومة في ذلك العهد الأظلم البغيض(16).

مجلة الفاروق (بعد الحرب)

وعلى إثر تعطيل جريدة "الصديق" (أعاد السيد عمر بن قدور إصدار مجلة "الفاروق" بعاصمة الجزائر). صدر العدد الأول منها يوم 08 أكتوبر تشرين الأول سنة 1920 أصدرها مديرها إثر عودته من منفاه بالأغواط عقب الحرب العالمية الأولى. وهي مجلة دينية تهتم كثيرا

بشؤون التصوف والطرق والزوايا وما إلى ذلك، حاول صاحبها أن يقلد فيها الأستاذ فريد وجدي في مجلتيه "الوجديات" و "الحياة"، فكتب في الطبيعة والمادة والفلسفة، وكان ينشر هذه الدراسات تحت عنوان "منبر الفكر".

وقد طلب زميله القديم الشيخ عمر راسم من صديقه الشيخ سليمان الجادوي صاحب جريدة "المرشد" بتونس أن ينقل تلك الآراء من "الفاروق" في "المرشد" فأجابه : (لا أنشر كلام المجانين.) وقد تكلمت عن "الفاروق" جريدة "المضحك" التونسية في عددها رقم 43 الصادر يوم 24 جويلية تموز سنة 1921 فقالت:

(نكاد نعجز عن وصف السرور الذي خالج الفؤاد منا، بحلول الكاتب الشهير والمفكر الكبير صديقنا السيد عمر بن قدور صاحب جريدة "الفاروق" الجزائرية بين ظهرانينا، ولا ينكر أحد ما كان يدبجه يراع هذا الكاتب البليغ من التحارير الإصلاحية الوافية، فمثله من يفيد البلاد باستطلاعاته، ويشرفها بزياراته، ونحن نرحب بقدومه المبارك ونرجو له السلامة).

وقد تحدثت عن صاحب "الفاروق" أيضا جريدة "المنبر" التونسية للشيخ الشاذلي المرالي في عددها رقم 222 الصادر يوم 3 مارس/ اذار سنة 1932، حيث قالت:

(نعت أخبار الجزائر صحفيا من أصحاب الغيرة والإخلاص وأستاذا عالما نصوحا، ألا وهو السيد عمر بن قدور صاحب جريدة مجلة "الفاروق" سابقا، والكاتب الشهير للصحافة الشرقية عموما والتونسية خصوصا. ولقد قاسى في حياته السياسية مشاق كانت خالصة في سبيل

الحق والوطن، وقليل في أبناء بلدته من اعترف له بالجميل وقدر مواهبه حق قدرها. ولقد فقدت الجزائر لوفاته فذا كريما فرحمه الله ورزق الجزائر من أمثاله).

ـ الصحف الموالية للاستعمار:

ولم تكن الحكومة كعادتها مكتوفة اليدين إزاء هذه الحركة الجارفة من المقاومة القلمية فعملت على خلق:

جريدة "النجاح"

صدرت بقسنطينة يوم 14 أوت /اب سنة 1920 اشترك في تحريرها وإدارتها السيدان عبد الحفيظ بن الهاشمي ومامي إسماعيل وكانت بمثابة "المبشر" في نشر الأخبار القضائية والترقيات الوظائفية، وتصريحات المسؤولين الاستعماريين ومناهضة الإصلاح والحركات السياسية التحريرية، وقد عاشت هذه الجريدة إلى سنة 1957 (17) حيث ماتت بموت محررها مامي إسماعيل واشتغال مديرها عبد الحفيظ بن الهاشمي بخطة الإفتاء.

جريدة "لسان الدين"

أوعزت الحكومة إلى الطائفة العليوية بإنشاء جريدة تكون لسان حالها، وذلك عند ظهور بوادر الدعوة الإصلاحية التي كان يقوم بها الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس صحبة زملائه

المشائخ، الطيب العقبي، والبشير الابراهيمي، فأصدر العليويون جريدة "لسان الدين" .

صدرت يوم 2 جانفي/كانون الثاني سنة 1923 بعاصمة الجزائر ثم انتقلت إدارتها لبلدة مستغانم وكان محررها الأول السيد مصطفى حفيظ ثم تولى تحريرها بعده بن عليوة السيد الحاج عدة بن تونس صهر الشيخ أحمد بن عليوة. وكانت تقوم بنشر ضلالات بن عليوة والدعوة إلى مناصرة الطرق بالجزائر ومحاربة الإصلاح إلى جانب مؤازرة السياسة الاستعمارية وتحبيذ أوضاعها وتبرير أساليبها الإجرامية بالبلاد.

وكان في صدور هذه الجريدة فاتحة لعهد جديد في تاريخ الكفاح القلمي بالجزائر حيث ابتدأت المعركة الإصلاحية العتيدة التي انحصرت في واجهتين:

واجهة الحكومة والطرق، وواجهة الشعب والحركة الإصلاحية.(18).

الهوامش والتعليقات

(1) في النص المذاع نجد عبارة (كما أسلفنا الحديث في الحلقتين السابقتين عن المرحلة الأولى)

(2) حمدان بن عثمان خوجة، كاتب وزعيم سياسي، ولد بالجزائر العاصمة وبها تعلم وبرع في علوم الفقه والمنطق والفلسفة والتاريخ والطب وأتقن اللغات التركية والفرنسية والإنجليزية وله اطلاع واسع على الأفكار الأوروبية والحريات والقوميات . اشتغل في عدة مناصب قريبة من الداي حسين، زار العديد من البلدان الأوروبية , منها مدن البلقان . وفي سنة 1820 زار فرنسا ودامت زيارته الأوروبية هذه 17 سنة احتك خلالها بكبار أدباء ومفكري عصر النهضة الأوروبية وعند احتلال الجزائر سنة 1830 أسس لجنة المغاربة التي تعتبر أول حزب سياسي جزائري لمقاومة الاستعمار وطالب بالجلاء وراسل ملك فرنسا فنفي إلي فرنسا فأقام بها ما بين 1833 –1836 ثم إلى القسطنطينية حيث اشرف على تحرير عدة صحف وهو بذلك أول صحفي جزائري ورأس تحرير جريدة (تقويم وقائع)من مؤلفاته كتاب (المرآة) سنة 1833 وهو موجه للرأي العام الفرنسي وكتاب (إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء) و كتاب (حكمة العارف)

(3) من قام بمساعدة حمدان خوجة في ترجمة "المرآة" إلى الفرنسية هو حسونة الدغيس الطرابلسي الليبي، وقد يكون المؤلف قد اعتقد أن المترجم ينتمي إلى طرابلس الشام.

(4) صدر كتاب للمرآة سنة 1833 بباريس، وليس 1883 كما جاء في المخطوط.

(5) لعله يريد أن يقـــول "المسـؤولية الجماعيـــة La Responsablite collective

(6) صدرت جريدة "الإسلام" بمدينة عنابة ثم انتقلت إلى الجزائر ويذكر الدكتور إحدادن أنها استمرت في الصدور حتى سنة 1914 وليـــس بعد سنة من صدورها، كانت تحرر باللغة الفرنسية. اختتم المؤلـف ــ هنا ــ هذه الحلقة الثالثة بالعبارة التالية: (إلى هنا نودعكم أيـــها القراء الكرام فإلى اللقاء في الحلقة القادمة حيث نقدم إليكـــم بقيـــة الصحف التي صدرت في هذه الفترة.) وكانت بداية الحلقة بالعبـارة الرابعة: (مستمعينا الكرام السلام عليكم ورحمة الله نحدثكم هـــذه الليلة عن بقية الصحف التي صدرت في الدور الأول الإيجابي عــن الكفاح القلمي. وقد حدثناكم عن ثلاث صحف هي "مجلة الجزائـــر" و"المسلم" و"الإسلام" فإلى الجريدة الرابعة.)

(7) صدرت صحيفة "الهلال" الأولى في الجزائـــر العاصمـــة بتـــاريخ 1906/10/22 لتتوقف عن الصدور يوم 1907/3/11 وكانت مزدوجة اللغة، أما الصحيفتان اللتان ذكرهما المؤلف يؤكـــد إحـــدادن أن لا وجود لمجموعات هاتين الجريدتين ويصعب التحقق مـــن ضبـط تواريخهما.

(8) توقفت جريدة " البريد الجزائري" عن الصدور يوم 1913/9/19.

(9) صدر أول عدد من جريدة " ذو الفقـــار " يـــوم 5 إكتوبـــر 1913 وتوقفت عن الصدور يوم 1914/6/28 والجدير بالذكر أن مؤسسـها هو عمر راسم، أما أبو منصور الصنهاجي فـــهو أحـــد الأسـماء المستعارة لراسم نفسه.

(10) توقفت جريدة الفاروق عن الصدور نهائيا يوم 1921/3/26

(11) كانت نهاية هذه الحلقة الرابعة بالعبارة التالية: (وإلـــى هنـــا يقـف الدور الأول الإيجابي من الكفاح القلمي بـــالجزائر ويـأتي الـــدور الإيجابي الثاني من المرحلة الثانية من مراحـــل تـــاريخ الصحافـــة

العربية بالقطر الجزائري وموعدنا مع المستمع الكريم في الحلقة القادمة من هذا الحديث والسلام عليكم ورحمة الله).

(12) ابدأ الكاتب هذه الحلقة الخامسة بالعبارة التالية: (أيها المستمع الكريم .. كنا تحدثنا إليك في حصتنا الماضية عن الدور السلبي ثم الدور الأول الإيجابي من الكفاح القلمي الذي قام به الشعب الجزائري الأبي بوفوده وصحافته العربية ما بين سنة 1907 إلى 1918 ونحن اليوم نتحدث إليك عن الدور الثاني الإيجابي من هذه المقاومة عبر السنين والتي كان من نتائجها هذه الثورة الكبرى)

(13) ظهرت "الإقدام" في يوم 1919/3/07 بإدارة كل من الصادق دندن وحاج عمر وكان لها الاتجاه السياسي الذي كان يدعو إليه الأمير خالد، وفي سنة 1921 أسندت إدارة الجريدة إلى الأمير خالد، وتوقفت عن الصدور يوم 1923/4/6 لتظهر مرة أخرى في باريس سنة 1927 لكن لم تعمر طويلا.

(14) كان ختام هذه الحلقة بالعبارة التالية: (سنتحدث عنها في حديث مقبل فإلى اللقاء والسلام عليكم ورحمة الله.)

(15) بداية الحلقة كالتالي :(أيها القارئ الكريم، تحدثنا إليك في حصتنا الماضية عن بداية الدور الثاني الإيجابي من كفاح الشعب الجزائري بواسطة القلم والصحافة، فحدثناك عن جريدة الإقدام التي أصدرها الأمير خالد بعاصمة الجزائر في ماي (أيار) 1920. والآن نحدثك عن: جريدة الصديق)

(16) هناك بعض المراجع تشير إلى أن "الصديق" قد تأسست يوم 1920/8/16 بالجزائر وأوقفتها السلطات الاستعمارية يوم 1922/8/07.

(17) كانت النجاح في بدايتها وإلى سنة 1932 وطنية الاتجاه لكنها بعد هذا التاريخ أصبحت موالية للاستعمار، وتشير أغلب المراجع أنها توقفت عن الصدور سنة 1955.

(18) كان ختام هذه الحلقة بالعبارة التالية: (وهنا نقف لنستأنف حديثنا إلى القارئ الكريم في الحلقات المقبلة عن هذه المرحلة الثانية في تاريخ الصحافة العربية بالقطر الجزائري فإلى اللقاء والسلام عليكم).

الفصل الثالث

معركة

الصحافة الإصلاحية

انطلاق الحركة الإصلاحية

كنا تحدثنا في الصفحات السابقة(1) عن تاريخ الصحافة العربية بالقطر الجزائري من سنة 1838 إلى سنة 1920 وانتهينا في حلقتنا السالفة إلى طور المقاومة القلمية التي كان يقودها البطل الجزائري الأمير خالد الهاشمي صحبة جماعة من أحرار الجزائر، وذلك إثر الخيبة المريرة التي لقيها الشعب الجزائري من فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى، وقد كان ثمن الدماء الجزائرية المراقة في الميادين الحربية، إرجاع قانون الاندجينا من جديد، ونفي الأمير خالد، والقضاء على بقية أنصاره بطرق تختلف باختلاف الظروف المحيطة بها، ورأينا كيف أن حكومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، عمدت إلى نوع جديد من سياسة النفاق والتضليل فسخرت شرذمة من رجال الزوايا الطرقية الذين انحرفوا عن مبادئ الطرقية الصوفية الصحيحة، ودفعتهم عملاء لخدمة سياستها التهديمية بواسطة إنشاء صحف مأجورة ورأينا كيف أن هذه المحاولة الماكرة انقلبت نتائجها لفائدة الانبعاث الجزائري، وكانت نقطة تحول في تاريخ كفاحها المجيد، حيث أنها ساهمت بطريقة غير مباشرة في انطلاق الحركة الإصلاحية الجارفة واتخاذها شكلا إيجابيا في المقاومة الصارخة بواسطة الدعاية في النوادي، وإنشاء الصحف العربية النزيهة الصادقة، تلك الحركة التي انبثقت عنها بعد خمس سنين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

نادي الترقي

وقد تزعم هذه الحركة المباركة بعد نفي الأمير خالد، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله. وقد ساهم في تعزيز هذه الحركة "نــاد" أسسه بعاصمة الجزائر أنصار الإمام ابن باديس، وعلى رأسهم المجــاهد الكبير الأستاذ أحمد توفيق المدني وزير الثقافة سابقا بالحكومــة المؤقتــة للجمهورية الجزائرية وسفيرها اليوم بالقاهرة، وهذا النادي يسمى "بنــادي الترقي"، وقد أصبح هذا الاسم في تاريخ حركة المقاومة الجزائرية عنوانــا لكفاح جيل كامل، لم يكن الجزائريون يعرفون الاجتماعات منذ الاحتــلال الفرنسي، وكانت قوانين "الاندجينا " تحرم الاجتماعات كما أسلفنا فكــانت كل الحركات الجزائرية تتسم بقلة النظام وتتعرض للفوضى القاتلة.

ولما تأسس " نادي الترقي"(2)، كان مركــزا لجميــع الحركــات القومية وكانت قاعاته الفسيحة ملتقى النخبة المفكرة كلها سواء بالعاصمــة أو بداخل البلاد، وكانت المحاضرات والمســامرات والحفــلات الكبرى تتوالى فيه ويقبل عليها الشعب إقبالا لاهفا. ورغــم القوانيــن الصارمــة والمراقبة المستمرة، كان نادي الترقي منبرا للدعوة الوطنية مــن جهــة، ومنبرا للدعوة الإصلاحية والعروبة من جهة أخرى، وقاوم النادي نزعــات الاندماج، كما قاوم دعاية التجنيس التي كانت الحكومة تغري بها ضعفــاء الإيمان قصد الحصول على الحقوق السياسية، وفي صــدر هــذا النــادي المبارك تمكن أنصار الحركة الإصلاحية من تحقيق ذلك الحكم الذي كــان يراود أحرار الجزائر، ألا وهو تأسيس حياة إسلامية عربية تنهض بــالبلاد نهضة جبارة في نطاق عروبتها وقوميتها وإسلامها فكانت (جمعية العلمــاء المسلمين الجزائريين).

وقد امتازت سنة 1925 بحادثين عظيمين في تاريخ حركة المقاومة الجزائرية: أولها تأسيس جمعية العلماء، وثانيهما تأسيس الحزب السياسي الوطني الجزائري تحت اسم "نجمة إفريقيا الشمالية"، وقد كان لسانه جريدة "الأمة" تصدر بباريس، باللغة الفرنسية، وتباع بالجزائر خفية، كما تباع المواد المتفجرة، والويل كل الويل، لمن وجدته الشرطة يطالعها أو يملكها أو يبيعها(3).

نجمة الشمال الإفريقي

وقد ساهم في تأسيسها رجال منهم من لا يزال وفيا لوطنه، ثابتا على العهد، ومنهم من قضى نحبه، ومنهم من انحرف عن المبدأ الوطني، وأصبح من عملاء الاستعمار الفرنسي يتعاون معه ضد الثورة الجزائرية المقدسة.

وكان هذا الحزب ينادي بمبدأ الاستقلال التام. ومنذ ذلك التاريخ لم تردد فكرة الاستقلال إلا انتشارا وذيوعا حتى أصبحت العقيدة العلنية للشعب، تلك العقيدة التي كانت البذرة الأولى لثورتنا الكبرى الحالية.

ورغم الاضطهاد العظيم الذي لقيه حزب "نجمة شمال إفريقيا" فقد تمكنت من الحياة والاستمرار في كفاحها طوال 12 سنة، وقد حلتها حكومة الجبهة الشعبية، التي كان على رأسها "بلوم" يوم 29 مارس 1937 فبعثها المناضلون من جديد تحت اسم "حزب الشعب الجزائري" ثم "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" وأخيرا تكتلت جميع عناصر الأمة الصالحة في جبهة عامة انبثق عنها الكفاح المسلح للشعب الجزائري وهي: "جبهة التحرير الوطني الجزائري".

وكانت بالجزائر حركات أخرى تواكب الحركة الوطنية مع اختلاف جزئي في الوسائل وتقارب في الغاية. وهي حركة "وحدة النواب المسلمين الجزائريين" ثم حركة "أحباب البيان" التي كان يترأسها السيد "فرحات عباس" رئيس الجمهورية الجزائرية المؤقتة حاليا بمعية المرحوم الدكتور سعدان والأستاذ احمد بومنجل الناطق باسم الحكومة الجزائرية حاليا. وسنتعرض لذكر هاتين الحركتين بإسهاب عند الحديث عن صحافتها.

جمعية العلماء: ابن باديس

وحيث أن الزعيم الأول للحركة الإصلاحية هو الإمام عبد الحميد ابن باديس نرى لزاما علينا قبل أن نتعرض للحديث عن الصحف الإصلاحية أن نفيد القارئ الكريم بموجز حياة هذا الرجل العظيم الذي كان باعث الانتفاضة الأولى بالقطر الجزائري، ولا نبالغ إذا قلنا بالمغرب العربي كله وقد جاهد في ميدان الصحافة مدة 10 سنين كاملة.

فمن هو عبد الحميد ابن باديس؟

إن ابن باديس الصنهاجي هو ذلك الرجل الذي أقسم لبلاده يوم أن رجع من تونس حاملا شهادة العالمية سنة 1912 وانتصب بقسنطينة يبني العقول وينشئ الأجيال، قال ابن باديس:

"هاأنا ذا أعاهدكم على أن أجعل حياتي وقفا مؤبدا على الإسلام عموما والأمة الجزائرية خصوصا ما بقيت الروح. ومن بدل أو غير فليطبق عليه: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى، من بعد ما

بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون" صدق الله العظيم).(4)

لم يكن ابن باديس(5) مصلحا دينيا فحسب، ولا وطنيا صادقا وصحفيا واعيا فقط كما يقولون، إنما ابن باديس كان أمة، إن ابن باديس كان أبا لجيل، ذلك الجيل الصاعد الذي ابتدأ سنة 1925 بالثورة على الجهالة والضلال وانتهى سنة 1954 بالثورة على السلاسل والأغلال. إنه يفتخر بهذه الأبوة، إنه يقول: "أنا لم أنجب أولادا.. ولكنني أب.. لأن كل الجزائريين أبنائي".

ولد ابن باديس في قسنطينة سنة 1889 في أحضان عائلة مترفة تتمتع بمركز اجتماعي ممتاز، وكان والده محمد مصطفى من أغنياء البلاد ووجهائها المحظوظين، ولو شاء عبد الحميد لعاش مثل أبيه وأفراد عائلته في بحبوحة من العيش ووفرة من الثراء وجانب من تقدير السلطة الحاكمة، وأن يبقى مدللا كما كان صبيا، ولما حرق مخه ونهك جسمه بالعمل الفكري الكادح، وكان في إمكانه أن يتمتع بالحياة الزوجية الدافئة، ككل أمثاله من أبناء الذوات المترفين، ولكنه استقبل الحياة يوم أن استقبلته الحياة، وهو يصرخ في وجهها: خلقت للجزائر وسأعيش للجزائر.

أدخله والده أحد الكتاتيب القرآنية وهو في الخامسة من عمره، فحفظ القرآن على الشيخ محمد المداسي، ثم درس العلوم الدينية في قسنطينة على الشيخ حمدان لونيسي، وقد كان يحذره من الالتحاق بأي وظيفة، وهي أغلى نصيحة سمعها في حياته.

أرسله والده مصطفى إلى تونس ليأخذ نصيبه الأوفر من المعارف فعكف على التحصيل وأتم (6) دراسته سنة 1908 حيث تحصل على

شهادة التدريس العليا ثم رجع إلى قسنطينة مسقط رأسه، وسافر إلى البقاع المقدسة سنة 1912 لأداء فريضة الحج، وطاف بالأقطار العربية (سوريا، لبنان، مصر وفلسطين) واتصل بعلماء هذه الأقطار العربية وأجازه المرحوم الشيخ محمد بخيت إجازة العالمية. وفي رحلته هذه التقى في الحجاز بكل من الشيخين البشير الإبراهيمي والطيب العقبي، حيث كان الأول مدرسا بسوريا، والثاني بالمدينة، وهناك تعاهد الثلاثة على القيام بحركة إصلاحية بالجزائر لإنقاذ الأمة من براثين مشائخ الزوايا الطرقية الذين سخروا أنفسهم مطية لأغراض المستعمرين في الجزائر لنشر الأوهام والضلالات وتحذير العقول.

وبمجرد رجوع الشيخ ابن باديس إى قسنطينة سنة 1913 انتصب مدرسا بالجامع الكبير، ثم الجامع الأخضر، يهذب النفوس، وينشر المبادئ القومية والفكرة الإصلاحية، فكان يقوم بإلقاء أثنى عشر درسا يوميا، وقد ابتكر طريقة جديدة لتفسير القرآن بالجزائر، كما ابتكر مثلها الشيخ رشيد رضا بمصر.

وإلى جانب كفاحه في الحقل الإصلاحي، فتح واجهة جديدة للكفاح القلمي فأسس جريدة "المنتقد" ثم "الشهاب" كمجلة، ثم "السنة المحمدية" ثم "الشريعة" ثم "السراط" وأخيرا "البصائر" التي احتجبت بعد اندلاع الثورة المسلحة العارمة.

كان من البديهي أن تتضايق الحكومة الاستعمارية بالجزائر من هذه الحركة وأن تعتبرها -كما هي في الواقع- حركة خطيرة ترمي إلى تحرير الأفكار والعقول من الاستعمار العقائدي المريع الذي ظل ردحا من الزمن يحجب العقول عن المعرفة والحقيقة والنور، ويصد النفوس التي

تنهشها المخاوف بأنيابها عن الانطلاق وراء حياة سعيدة وعيش كريم. صمد ابن باديس الصنهاجي أمام كل معارضيه ووقف ساخرا من الأحداث في نخوة وكبرياء يردد ذلك الصوت الذي يجلجل في أعماقه: تستطيع الظروف أن تكيفنا، ولكنها لا تستطيع أبدا أن تقهرنا.

فإذا ما اعتصرت حلمه الآلام، وداعبت روحه الأمال الفساح حدج الأقدار العاتية بعينين تبرقان كالقبس، ونظر إلى الأفق اللازوردي الحالم في أحضان اللانهاية، وقال: إن جميع الأبواب يمكن أن تغلق أمامنا، ولكن بابا واحدا لن يغلق أبدا وهو باب السماء.

وما كان ابن باديس أن يغتر بمناورات الاستعمار التي دبرت حوله إبان الحرب العامية الثانية ليقول كلمة تأييد لفرنسا، وحلفائها ضد الألمان، إنه لا يثق بالاستعمار، ولا يطمئن لرجاله، فهو يرتاب حتى في كلمة الشهادة إذا طلب إليه المستعمرون أن يقولها: "والله لو قالوا لي قل لا إله إلا الله لما قلتها".

هذا هو عبد الحميد ابن باديس في إيمانه.. ذلك هو ابن باديس في شخصيته وتضحيته النفيسة الفذة .. ذلك هو أب الجزائر في جهاده وهذه هي صيحاته المدوية يقذفها في صدر الزمن:

هذا لكم عهدي به   حتى أوسد في الترب
فإذا هلكت فصيحتي   تحيى الجزائر والعرب

ولقد التحق ابن باديس بموكب الخلود في جوار ربه يوم 16 أفريل قبل عشرين سنة (1940)، ولفظ أنفاسه الأخيرة مبتهلا: "رب إني مسني الضر، وأنت أرحم الراحمين".

وكان الخضم الزاخر من الشباب الجزائري يسير في خشوع وراء جثمانه الطاهر وهو يردد هذه الكلمات الصارخة: "لقد كان عبد الحميد هو الجزائر، والآن على الجزائر أن تكون هي عبد الحميد"..(7)

جريدة " المنتقد "

صدرت "المنتقد" (8) بعاصمة قسنطينة يوم 2 جويلية /تموز سنة 1925 م يتولى تحريرها نخبة من الشبيبة الجزائرية، ويدير شؤونها الإدارية السيد أحمد بوشمال، ويوجهها الإمام عبد الحميد ابن باديس. وهي أسبوعية تصدر يوم الخميس من كل أسبوع، كما أنها أول صحف العهد الإصلاحي، وكانت تشدد الحملات على أنصار البدعة والضلال، وتنتقد تصرفات الحكومة الاستعمارية بشكل متزن رصين إلا أنه قوي وصريح. وما كان لفرنسا الاستعمارية وعملائها أن تتحمل سماع أصوات تزعجهم وتفسد عليهم خططهم النكراء خصوصا وان إدارة الأمور الأهلية بالجزائر كان على رأسها ذلك المستشرق الخبيث "ميرانط" ومن ورائه أمثال محمود كحول من الخونة الأنذال، فخنقت الحكومة أنفاس "المنتقد" ولم تمر سنة على ولادتها، وذلك في ربيع سنة 1925 (9) وكان آخر عدد صدر منها هو العدد الثامن عشر.

وإلى القارئ نموذجا من فصولها من نقتطفه من عدد 3 سبتمبر /أيلول 1925 تحت عنوان "دعاء إلى واجب":

(أيها العلماء الذين اعترفت لهم الأمة بالعالمية، وصار في استطاعتهم إنقاذها من مهاوي الضلال. إنكم تعلمون أن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ابتدأ دعوته بتطهير العقائد من الوثنية، ومعلوم أن

العلماء بالدين العاملين به هم ورثة الأنبياء القائمين برد كل محدث خالف ما كان عليه الدين، فعلام نراكم صامتين، لم تكتبوا بالجرائد أو تجمعوا الأمة وتخطبون لها بما توضحون به نهج الدين القويم ..؟ خصوصا في هذه الأونة التي صار من يكره الناس على الاعتراف له بالعلم، يقول: الله (بريميار) في السماء، والشيخ الفلاني (بريميار) في الأرض... كذا إلى ألفاظ توسع مدلول هذه العبارة وتشرحها، وبريميار بالإسبانية معناها "الأول" ... سبحانك لا إله إلا أنت آمنت بقولك: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) وآمنت بأن هذا غير خاص بنزول هذه الآية.) "

هذا هو أسلوب الدعوة إلى الإصلاح الذي بدأ الإمام ابن باديس بثه في الأمة، بلين ونزاهة واعتدال على لسان جريدة "المنتقد"، وكان من أبرز كتابها العلامة المؤرخ الشيخ مبارك الميلي أحد مؤسسي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" فيما بعد، وقلما لا يخلو عدد من "المنتقد" من فصوله المتزنة الصريحة الممتعة، وكان يحرز فيها مقالا متسلسلا تحت عنوان "هل نحن في بداية نهضة ؟" وآخر تحت عنوان "كيف نعيش سعداء ؟". ومن عناوين جريدة "المنتقد" الأحلام الطائشة، من الناس قوم، من ملاحظاتي. وقد صادفت رواجا منقطع النظير في أوساط الشعب الجزائري بل والمغرب العربي كله حيث كانت الوحيدة من نوعها في ذلك العهد أصدق لهجة في حكمة واتزان.

وما إن اختفت هذه الجريدة حتى خلفتها جريدة "الشهاب"

جريدة "الشهاب"

برزت بعاصمة قسنطينة سنة 1925 تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية، مدير شؤونها وصاحب امتيازها السيد أحمد بوشمال(10) تبرز صبيحة الخميس من كل أسبوع. وقد صدرت عددها الأول بمقال افتتاحي طويل فيه بيان عن تعطيل "المنتقد" وإنشاء "الشهاب" وبداية من العدد 32 الصادر في 11 ذي الحجة سنة 1344 (11) صارت تصدر مرتين في الأسبوع يومي الخميس والاثنين، واستمرت "الشهاب" تقوم بواجبها للدعوة الإصلاحية بدون أن يعلم قراؤها الأباعد شيئا عن أسرتها، إذ أن الشيخ ابن باديس هو الذي يكيف منهاجها ويشرف على تحريرها إلى أن ظهر العدد 49 بتاريخ 10 صفر سنة 1345(12) مكتوب عليه "الشهاب" تصدر تحت إشراف مؤسسها الأستاذ عبد الحميد ابن باديس، وهكذا واصلت سيرتها الأولى في شكل جريدة إلى العدد 75 المؤرخ في 11 جمادى الثانية سنة 1345(13) ثم تطورت في شكل مجلة.

وكانت لهجتها غاية في الاتزان والليونة والدعوة بالحسنى ودليلا على ذلك ننقل للقارئ الكريم فصلا من عددها المؤرخ بـ 28 جانفي /كانون الثاني سنة 1926 - 14 رجب 1344 وفي هذا الفصل يشرح محررها خطة الشهاب بدقة وصراحة قال:

(لقد كان المسلك الذي سلكناه من الصراحة في يوم أن دخلنا ميدان الصحافة جديرا بأن يغنينا عن كل بيان، ولا نشك أنه كان كذلك عند من يقرؤون صحيفتنا غير متأثرين بعوامل من عند أنفسهم من الداخل أو بعوامل مصالح أقوام احتاجت إلى بيانات أكثر مما يحتاج إليه كلام المراوغين والمداجين، وذلك لأنها تلقى من أعداء الحقائق من يصرفونها

إلى أبعد الاحتمالات ويحملونها ما لا تدل عليه بوجه من وجوه الدلالات، ويلزمون أهلها بأبعد اللوازم في مذاهبهم، وينسبونهم إلى كل غاية من غاياتهم، وهذا الذي نعانيه يا قارئنا الكريم في حياتنا الصحافية من بدايتها إلى اليوم وهذا هو الذي دعانا إلى تقديم هذه البيانات لجميع الناس.

1) نحن والسياسة الجزائرية: ليس لنا في الوقت الحاضر من سياسة إلا سياسة الديمقراطيين من أحرار فرنسا، تلك السياسة المنبثقة عن المبادئ الثلاثة (الحرية والأخوة والعدالة)

فنحن : نريد من فرنسا ولفرنسا، الحرية التي يريدها كل فرنسي، أو متصل بفرنسا، بسبب حرية القول والنشر والاجتماع.

نريد من فرنسا وبفرنسا، الأخوة التي تنشأ من الإحسان العام، وترسخ برفع كل ميز بين العناصر المتساكنة بالبلاد.

نريد من فرنسا وبفرنسا، العدالة في الأحكام وفي أسباب التقدم الفكري والرقي الاجتماعي والعمراني، حتى تصبح الجزائر عضوا عاملا لا عضوا فاشلا.

2) نحن والإصلاح الديني: ليس لنا أمل في هذا السبيل إلا القرآن والسنة وسير السلف الصحيح. وليست لنا غاية إلا تصحيح العقائد، وتهذيب الأخلاق، وتقويم الأعمال، وتنزيه الدين مما أحدثه فيه المحدثون. وليس لنا داع يدعونا إلى هذا إلا الشعور بواجب النصح، ومحبة الخير لإخواننا المسلمين الجزائريين. ذلك الشعور وتلك المحبة اللذان لم يزالا يحملان أمثالنا في جميع الأمم إلى سلوك مثل هذا السبيل. إننا نسعى إلى الإصلاح الديني في خصوص الأمة الجزائرية التي نحن منها دون غيرها من الأمم الغنية برجالها عنا، وبدون أن تكون لنا أدنى علاقة خاصة بأي

مصلح في أية أمة أخرى. فأعمالنا في هذا السبيل كلها منا ولنا غير خارجة عن دائرة القانون، ولا موجهة ضد أحد.

3) نحن والزوايا: لا نريد هدم الزوايا وإنما نريد إصلاحها، لا كلام لنا مع الأموات، وإنما كلامنا مع الأحياء، لا ننكر الولاية، وإنما ننكر الغلو في تقدير أهلها، لا ننكر الكرامة وإنما نتحرى في توفر شروطها، لا ننهي عن زيارة السنة، وإنما ننهي عن زيارة البدعة.

في الزوايا وفينا وفي غيرنا شئ من الفساد، غير أن الفساد إذا نشأ من الزوايا عم انتشاره لما لها من كثرة الأتباع. فهي جديرة بأن تقدم على غيرها في الإصلاح، وتخصص بجانب كبير من دعوة المصلحين. ونحن -بحمد الله- قد أسمعنا أصحابها- مع احترامهم- كلمة الحق وحركنا الكتاب على اختلاف مشاربهم إلى تبادل الأفكار في إصلاحها. وعرفنا الأمة أن فيها ما ليس من الدين. فأصبحت مسألة مطروحة على بساط البحث. معروضة على المحك الإصلاحي بعد سكون طويل في زمن بعيد. وإذا نحن قمنا بواجبنا فلنتركها بيد العلماء يتناظرون فيها بالحق والإنصاف حتى تتجلى الحقيقة التي يجب على الجميع قبولها والعمل بمقتضاها، وقد فتحنا للكتاب كلهم بابا في صحيفة "صفحة المتناظرين" ننشر فيها كل ما يرد علينا منهم على اختلاف مشاربهم، بشرط أن يكون بصريح إمضاءاتهم، ونعدهم بشرف الصحافة. إننا لا نؤثر أحدا منهم على أحد في التقديم والتأخير، ولا نتحيز لفريق على فريق.)

هذا هو المنهاج العام الذي سطرته جريدة "الشهاب" وسارت على ضوئه سائر جرائد العهد الإصلاحي. (14)

مجلة "الشهاب"

لقد علم القراء مما سبق أن الشهاب تطورت إلى مجلة بداية من عددها 75 المؤرخ في 11 جمادى الثانية سنة 1345. وكانت تطبع بالمطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة. تلك المطبعة التي واكبت الانتفاضة الإصلاحية من أول يوم، وساهمت بأكبر قسط في نشر الدعوة إلى التحرر الفكري والتخلص من الضلال العقائدي الذي كان يسدل حجبا كثيفة بين الشعب وبين الحقيقة والمعرفة والنور. وكانت هذه المطبعة التي يديرها الجندي المجهول السيد أحمد بوشمال تقوم بطبع جميع جرائد المدرسة الإصلاحية، سواء كانت إدارتها بقسنطينة أو بعاصمة الجزائر كما كانت تطبع جل الإنتاج الأدبي والفكري في الفترة المتراوحة بين سنة 1923 وسنة 1947 وهذا واضح في المقال الذي نشر بمجلة الشهاب عدد 105 المؤرخ في 14 محرم 1346 الموافق لـ 14 جويلية / تموز سنة 1927 بإمضاء "المطبعة الإسلامية الجزائرية" وقد جاء فيه ما يلي ردا على احتجاج في جريدة "البرق" بلهجة قاسية ضد المطبعة.

" قد علم الناس أن المطبعة الإسلامية الجزائرية في خدمة النهضة الفكرية في هذا الوطن منذ تأسيسها كما هي غايتها. ففيها طبعت صحيفة "الجزائر" لشاعر الجزائر وكاتبها الكبير الشيخ محمد السعيد الزاهري. وفيها طبعت صحيفة "صدى الصحراء" للأديب الوطني السيد أحمد بن العابد العقبي إلى آخر عدد منها. وكانت مقالات جريدة "الجزائر" تأتينا من عاصمة الجزائر حيث كانت إدارتها، كما أن مقالات جريدة "صدى الصحراء" كانت تأتينا من بسكرة، ورغم ذلك فقد كانت الجريدتان

تصدران في أوقاتها، وما عرف صاحباهما من المطبعة الإسلامية الجزائرية خيانة ولا تقصيرا، بل عرفا منها عناية حسب جهدها، وتساهلا في معاملتها، وما يذكر أنه دائما مقرونا بالثناء والاعتراف بالجميل، وقد جاءت في هذه الأشهر "جريدة البرق" تطبع بمطبعتها إلى عددها الخامس عشر، وكانت تبرز في أوقاتها رغم تأخر أصحابها في إرجاع المقالات بعد التصحيح ورغم تكرر تنبيهاتنا لهم في ذلك وإلفات نظرهم لما يلحق المطبعة من الضرر المادي واختلال النظام في الأعمال بسبب ذلك التأخير. ومع الأسف فقد حصل ما كان يخشى، فصدر عدد 102 من "الشهاب" في 16 صفحة وتأخر عدد 103 منه سماها السيد الرحموني (مدير جريدة البرق) خيانة وسعى بها قوما لئاما. ونحن قد كتبنا هذا خدمة للحقيقة. أما ما تلفظ به فإننا لا نحسن الجواب عنه. ونرجو بعد هذا لجريدة "البرق" اللامعة كل تقدم ورواج."

لقد وجد الإمام ابن باديس وإخوانه المصلحون ميدانا رحبا في مجلة "الشهاب" لبث أفكارهم، والدفاع عن آرائهم في توجيه الأمة توجيها صحيحا سواء في الميدان السياسي والاجتماعي أو الإصلاحي ورغم أن المعركة كانت حامية الوطيس بين المعسكرين، معسكر الإصلاح تسانده الأمة، ومعسكر الرجعية تسانده الحكومة الاستعمارية. فإن المنهج الذي سلكته مجلة "الشهاب" في كفاحها كان منهجا رصينا يتسم باللين والمرونة والحسنى، وطالما كانت ترفض نشر مقالات أنصارها الأقربين إذا كانت عنيفة اللهجة، ناشزة عن مبدأ الدعوة الذي سطره الإمام ابن باديس لمجلته، ونفذه في دروسه ومواعظه الأسبوعية في مساجد قسنطينة ومساجد القرى التي كان يزورها بدون انقطاع. بل ذهبت مجلة "الشهاب"

إلى أبعد من ذلك فكانت تفتح منابر حرة للناظر، لا تضيق صدرا عن نشر آراء المعارضين بكل حرية ونزاهة، وكثيرا ما كانت المجلة مضطرة إلى الحد من انطلاق الكتاب وراء عواطفهم، بنشر تنبيهات مثل الذي نشرته في عددها 107 المؤرخ بـ 28 محرم سنة 1346 الموافق 28 جويلية / تموز سنة 1927 تحت عنوان (متى تجاب الدعوة إلى الحسنى). وقد جاء فيه "فقد كنا نظن أن تجاب الدعوة إلى الحسنى في انتصار الكتاب على البحث والمناظرة، بدون فحش ولا سباب، ولكن مع الأسف إن بعضهم لا يزال مندفعا وراء ذلك التيار. نكرر لهم تلك الدعوة سائلين لنا ولهم حسن القول وحسن الاستماع والتوفيق في كل حال."

وقد استمرت المناظرة الحرة بين الفريقين مدة طويلة كان من أبطالها في الجانب الإصلاحي الطيب العقبي -ابن باديس- مبارك العيلي أبو يعلى الزواوي- الأمين العمودي، السعيد الزاهري، ومن جانب الطرقين، المولود الحافظي- عده بن تونس- الأخضر عمروش، وتطورت المناظرة القلمية إلى دعوة رسمية للمباهلة (:المجادلة أو المجاهلة) بين أقطاب الطريقة العلوية وبين الطيب العقبي الذي كان من أبرز المصارعين في ذلك العهد. وقد نشرت مجلة "الشهاب" في عددها 107 إحدى مراحل هذه "المباهلة" في كلمة للطيب العقبي هذا نصها :

"طالعت بعدد "البلاغ" الأخير كلمة تحت عنوان (المباهلة) يدعوني فيها أصحابها إلى مباهلتهم أو مناظهتهم ولكن في الجزائر. وفي يوم موسم ابن عليوة وزيارته التي أنا من أول المنكرين لها، وحيث أن حديث (المباهلة) كان بدؤه مع سكيوج قاضي الجديدة ببلاد المغرب الأقصى، وبين المغرب وبسكرة مسافة بعيدة ، فتعيين الاجتماع بها ظلم وحيف،

واليوم يطلب العليويون الاجتماع بعاصمة الجزائر يوم حجهم الأكبر ليحشرونا مع زمرة أتباعهم، والعدل والإنصاف يقتضي بقسم المسافة بيننا لكي لا يغبن أحد الطرفين لهذا أجبنا العليويين -ونحن براهقنا الوقت- بتلغراف ممضي (روكماندي) هذا نصه:

"إننا مستعدون للقائكم في اليوم الذي عينتموه ولكن بقسنطينة لا بالجزائر، كنا عينا الجزائر سابقا (لسكيوج) الذي يسكن المغرب الأقصى، وقد امتنع عن الإجابة. أعلموا بذلك سيدي ابن عليوة وأبرقوا لنا بغاية السرعة. ولكم أن تعينوا يوما آخر وأعلمونا لنتفق عليه- تاريخ التلغراف 19 سبتمبر 1927 الإمضاء الطيب العقبي.

ويقول: قد أرسلت بهذه الكلمة وصورة التلغراف لتنشر "بالشهاب" فيطلع عليها الناس كافة كي لا يضلهم العليويون أو يلبسوا عليهم في أمرهم ما يلبسون وإلى الله تصير الأمور".

ولم تقع هذه (المباهلة) قط لأن العليويين كانوا يختلقون الأسباب لإحباطها كما أن الحكومة لا ترى من مصلحتها وقوع هذه (المباهلة) لعلمها بعجز من تساندهم عن مناهضة الحق، وجهلهم بأسرار الدين، وتجردهم من الضمير، فانهزامهم آنذاك انهزام لجهاز السياسة الاستعمارية وانهيار لهيمنتها على النفوس، وهكذا ظل العقبي ينتظر جواب خصومه، وما زال ينتظر إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم الأحد الماضي 22 مايو 1960 في سن يناهز الثمانين بعد مرض ألزمه ما يربو عن خمس سنوات. وذهب لمحكمة العدل يحمل في يمينه ملفا وفي يساره كتابا وشفتاه تردد الآية الكريمة "وآخرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم...".

ولكن جواب العليويين في قصة "المباهلة" تلقاه الإمام ابن باديس بطريقة تلغرافية طريفة، وذك بواسطة هراوة هوى بها أحد قرامطة ابن عليوه في ليل دامس على رأس الإمام ابن باديس من وراء باب داره. وحتى في هذه المباهلة القاتلة قد انتصر ابن باديس وهو الشيخ المسام الوديع واستطاع أن يقبض على الجاني، وأن يتصارع معه حقبة من الزمن، ليجرد يمناه أخيرا من الخنجر المسلول الذي أعده العليوي خصيصا للإجهاز على ابن باديس بعد تدويخه بضربة الهراوة ولنترك الشاعر الفحل محمد العيد يقص علينا الواقعة في قصيدة نشرها في عدد 105 من مجلة "الشهاب" (15) :

حمتك يد المولى وكنت بها أولى

فيالك من شيخ حمته يد المولى

وأخطأك الموت الزؤام، يقوده

إليك امرؤ أملى له الغي ما أملى

فيا لوضيع النفس، كيف تطاولت

به نفسه، حتى أسر لك القتلا ؟

ونالك في جنح الدجى بهراوة

فأدماك بل أدمى الكرامة والفضلا

وأهوى إلى نصل بكف أثيمة

تعود أن ينضى بها ذلك النصلا

فأوسعتها وهنا، وأوسعها قوى

وأجهدتها عقدا، وأجهدها حلا

وكادت يد الجاني العليوي تعتلي

يـد الشيخ لولا الله أدركها لــولا

فوافتك بالنصر العزيز طلائــع

مباركة تتـلى من الملإ الأعـلى

وغادرك الجاني الشقي مولـيا

وهل يسلم الجاني الشقي إذا ولى؟

وإن أنس لا أنسى الذين تظافروا

على الفتك بالجاني، فقلت لهم مهلا

ألــيس مــن الآيــات أنــك بيننا

تعامل بالعدل الذي أغضب العدلا

وترضى، ولو عمن تبرم بالرضى

وتسلي، ولو عمن أبى لك أن تسلى

وتحفظ حتى من أراد بك الأذى

وتنصر حتى من أراد لك الخــذلا

ولقد دفعت شاعرنا غيرته على الفكرة الإصلاحية إلى حد خوفــه من أن تؤثر الحادثة على إيمان الإمام فيضعف في تأديــة رســالته فقــال يخاطبه في نوع من التشجيع والاستعطاف:

قدم يا ابن باديس كما كنت راشدا

فإني رأيت الرشد يستأصل الدجلا

وخــذ بيمين الحق تعلــو عليهــم

فإني رأيت الحق يعــلو ولا يعلى

وأن تك قد مستك منهم بلية

لذلك، فالداعي جدير بأن يبلى

حنانيك لا تأخذ بها الشعب إنها

جناية أفراد ذوي همم سفلى

حنانيك لا تعرض على الشعب وافتكر

بأدوائه. واجمع لأحزابه الشملا

ولا تأس فالتاريخ يا شيخ حافظ

لأعمالك الكبرى، وآمالك الجلى

سيتلو على الأجيال شكرك مرميا

إليك وأنباء الورى سور تتلى

وما كانت محاربة الطرقيين لتقف في هذا الحد فقد فتحوا واجهة أخرى من الوشاية بمجلة "الشهاب" وصاحبها ابن باديس ولم تنحصر هذه المساعي الأثيمة في حدود الجزائر، بل تعدتها إلى كامل أجزاء المغرب العربي، فوقع تحجير دخولها للمغرب بوشاية من عميد الطرقيين، وعميل الاستعمار، طريد البلاد العربية اليوم المسمى عبد الحي الكتاني، وإليكم شهادة تصريح عن صاحب جريدة فرنسية بالمغرب الشقيق تحت عنوان (صحف محجورة):

" نشرت جريدة "لوكوريي ماروكان" (البريد المغربي) في عددها 214 الصادر في 23 جويلية/تموز 1927 مقالا بقلم محررها "كاريط بوني" هذا تعريبه:

(وتلا تحجير عدد كبير من الصحف العربية المختلفة المصـــادر، وقد ذكرنا في عددنا الأخير التحجير الواقع على "جريدة البرق" و"مجلـــة الشهاب" وما طرقنا مسألتهما إلا بعد أن خاضت فيها جريدتــــا "لافيجـي ماروكان" و "ليكو دي ماروك" وقد أظهرتا فرحهما بذلك.

نحن لا نعرف "البرق" ولكننا نعارض ما أبدتــه الجريدتــان مــن الكلام الباطل بدافع الحقد على "مجلـــة الشـــهاب" وقـد اعتـــادت هاتـــان الجريدتان أن لا تنقلا من الأخبار إلا ما كان مثيرا للأفكار، فـــهل تثبتتـا فيما تنشران ؟ هيهات أن تكون لهما هذه الصفة من النزاهة وهما تطمحان إليها.

"الشهاب" مجلة تطبع بقسنطينة أسست لمطالبة الحكومـــة بجعـل نواب من مسلمي الجزائر بالبرلمان الفرنسي، لأنها ترى أن الحق يجـــب أن يعطي لكل من يؤدي قسطا وافرا من الضرائب، وأن يمكنه من حـــق التمثيل بالبرلمان، ثم إن تلك المجلة التي أسسها صحافي مقتدر، ألا وهــو السيد عبد الحميد ابن باديس. خرجت في بعض الأحيان عن هاته الخطـــة كي تتصدى لمقاومة الطرق التي تقف عقبة في سـبيل التطـور والرقـي بالجزائر والمغرب، لكن ويا للأسف رجـــال الطـــرق يعضدهـم رجـال الحكومة الفرنسية التي يظهر لها أن تكون منهم "حرفاء" ــ كليـان:Client. حسب ما يقتضيه هذا اللفظ باللاتينية - إن ذلك يقلل تعبـها ويسـهل لـــها الوصول لمقاصدها. إن أرباب الطرق يعترضون بكل قواهم لكــل جديـد وعللهم تماثل علل رجال "الفاتيكان" في هذه المســـائل، والمســألة مســألة استيلاء ومسألة "فلوس". إن هذه المقاومة في صميم الغموض الذي تعمـل تحته طائفة تريد الاستيلاء على الأموال باسم الدين.

قبل الثورة الفرنسية كان رجال الإدارة، ورجال الدين يؤثرون تأثيرا سيئا في الأمة بكثرة الإلحاح عليها في الصدقات، وكانوا يلعبون دورا كالذي يقوم به اليوم رجال الطرق في إفريقيا الشمالية.

فمجلة "الشهاب" تحت رئاسة ابن باديس صاحب القلم شديد الوقع، تعترضها في طريقها التقدمي، هذه القوة المسيرة بالمصالح والغايات، نحن لا ننكر أن تلك القوة كانت لنا عونا فيما سلف... أما الآن فغايتها مقصورة على استعباد الشعب وتضليل أفكاره بالخرافات المنافية لروح القرآن. فالطرق هي أعظم عقبة تقف بإفريقيا في سبيل نشر أفكارنا، وآرائنا فهي تنافي روح الجمهورية، ومبادئ الديمقراطية، ببثها التعصب بين طبقات الأمة، ومحاربتها للتعليم. زد على ذلك أنها تتخذ ذلك التعصب وسيلة للاستيلاء على أرباب الحكومة حتى لا يلبثوا أن يعتقدوا أن نفوذهم متوقف على تأثير الطرقيين، يجب على النزيه أن يتخذ الوسائل إذا أراد أن يصرح بالحقيقة، ولا ريب أننا إذا أوضحنا للناس كيف يستغل الإنسان أخاه فإنما نقوم بواجبنا. نعم ليس هناك استغلال أفظع من الذي يكون باسم مذهب أو عقيدة، إن جريدة "السعادة" التي هي جريدة قلم الاستعلامات الأهلية نشرت كلاما معناه أن "الشهاب" منع من الدخول إلى المغرب بأمر من الجنرال "فيدالون" بعدما أشار بذلك المقيم العام مسيو "ستيق" . وهذا غلط في الإخبار بالحقيقة تعمدته رصيفتنا، فهي لا تجهل قط أن عبد الحي الكتاني هو الذي قدم تقريرا للجنرال "دوشامبران" الحاكم بناحية فاس شأن الفاضل ابن باديس، ولم تدر هل أوقعنا في الغلط أوروت "السعادة" خبرها عن مصدر كاذب؟؟".

وتواصل الجريدة كلامها عن الكتاني فتقول:

وعبد الحي هذا هو نائب الطرقيين بفاس، وإن شئت قل سفيرهم ذو الرجلين القصيرين والبطن العظيم، أما اسمه فينطبق عليه غاية المطابقة، إذ معناه (عبد القبيلة) أي الحي باللغة العربية، كيف لا والطرقيون بين سائر المؤمنين كقبيلة خصوصية أسست لجمع الصدقات والنذور بدعوى الإصلاح والكرامة والولاية؟؟.

وخلاصة القول أن الطرقيين أعداء المبادئ الجمهورية التي تتوق إليها كل نفس كريمة، وهم خدمة في ركاب الاستغلاليين، ولنا الرجاء أن مسيو "ستيق" الذي مازال يظهر لنا من حين لآخر علامات التبصر والاعتناء، سينظر إلى نظيرنا بعين العدل، وسيأذن لمجلته في الدخول للمغرب بعد أن تحقق أن كل ما زعموه في حق الشهاب محض زور وبهتان".

هذا ما نشرته جريدة فرنسية تصدر بالمغرب الأقصى "وشهد شاهد من أهلها" ولم يبق أدنى شك في أن الطرقيين بالجزائر كانوا مطايا يبلغ الاستعمار على أكتافها إلى ما يرمي إليه من إبقاء الطبقات الشعبية في ظلام الجهالة والعمى حتى لا تطمح لبعث قوميتها واسترجاع كرامتها.(16).

الهوامش والتعليقات

(1) كانت بداية الحلقة السابعة تضمنت العبارة التالية: (كنا تحدثنا إلى المستمع الكريم عن تاريخ ..الخ)

(2) تذكر المصادر التاريخية أن نادي الترقي أفتتح يوم 1927/7/03 وبعضها الأخر يذكر تاريخ 1927/7/18 وقد انتخب أعضاء النادي السيد محمود بن ونيش رئيسا له، وأول من فتح سلسلة محاضراته هو الشيخ بن باديس بمحاضرة عنوانها " الاجتماع والنوادي عند العرب" ويقع مقره بالقرب من جامع كتشاوة، انظر الفصل الرابع، حيث أثبت المؤلف ما كتبه مجلة الشهاب عن هذا النادي..

(3) في الحقيقة، تأسست جمعية العلماء يوم 1931/5/5 كما أن "نجم إفريقيا الشمالية" المطالب باستقلال الأقطار المغاربية الثلاثة قد بدأ في السرية في أوساط المهاجرين ليظهر في مارس سنة 1926، ويعقد أول اجتماع له يوم 1926/5/15 وتعتبر سنة 1925 مميزة عن غيرها لأنها عرفت ظهور جريدة "المنتقد" لبن باديس التي حجزت فور صدورها من السلطات الاستعمارية، وتعتبر هذه الجريدة أول عمل جماعي إصلاحي يقوم به الشيخ ابن باديس.

(4) أنهى المؤلف هذه لحلقة السابعة بالعبارة التالية: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم.
فهل وفى ابن باديس بما عاهد الله والأمة عليه؟
قراؤنا الكرام، في الحديث المقبل نقدم إليكم وفاء هذا الرجل لله وللجزائر).

(5) بداية الحلقة الثامنة كانت كالتالي: (أيها القارئ الكريم حدثناك في حصتنا الماضية عن العهد الإصلاحي وحيث أن الزعيم الأول للحركة الإصلاحية هو ابن باديس فقد رأينا أن نقدم لصحف هذا

العهد بالحديث عن شخصية هذا الإمام المصلح الذي وفى بما عاهد الله والأمة عليه).

(6) في الحقيقة سافر بن باديس في هذا التاريخ 1908 إلى تونس وانتسب إلى جامع الزيتونة حيث أخذ العلوم العربية الإسلامية عن كبار علمائها أمثال محمد النخلي ومحمد الطاهر بن عاشور ومحمد الخضر حسين الطولقي، وتخرج منها بشهادة التطويع سنة 1912/1911.

(7) أختتم المؤلف هذه الحلقة الثامنة بقوله: (هذه نبذة وجيزة عن تاريخ هذا الرجل العظيم نجعلها مقدمة بين يدي القارئ لأحاديثنا عن صحافة هذا العهد، ولنبدأ بعد هذا بالحديث عن جريدة "المنتقد" التي كانت باكورة جرائد العهد الإصلاحي المجيد وسيكون ذلك موضوع حلقتنا المقبلة بحول الله وإلى هنا نودع القارئ الكريم على وعد اللقاء في الأسبوع المقبل والسلام عليكم ورحمة الله.)

(8) افتتح المؤلف الحلقة التاسعة بقوله: (كنا قد أسلفنا الحديث في حصتنا الماضية عن نبذة وجيزة عن حياة المصلح الإمام عبد الحميد ابن باديس واليوم نتناول استعراض صحف هذا العهد ونبدأ بجريدة "المنتقد".

(9) أوقفت "المنتقد" من قبل السلطات الاستعمارية يوم 1925/10/29

(10) المؤسس الحقيقي للشهاب هو عبد الحميد بن باديس، وبوشمال كان مسؤول الجوانب الإدارية والمطبعة، وسيظهر اسم بن باديس باعتباره مؤسس الشهاب ابتداء من العدد 49 كما سيذكر المؤلف، وقد صدر أول عدد يوم 1925/11/12 وتوقفا عن الصدور في اوت 1939

(11) الموافق لـ: 1926/6/21

(12) الموافق لـ: 1926/8/19

(13) الموافق لـ: 1926/12/16

(14) كانت نهاية الحلقة التاسعة بقوله: (ولنقف مع القارئ في هذا الحد على وعد اللقاء معه في الحلقة الآتية حيث نتحدث عن الشهاب في شكل مجلة والسلام عليكم ورحمة الله.)

(15) كانت نهاية الحلقة العاشرة بقوله (فإلى اللقاء في حلقتنا المقبلة حيث نقرأ عليكم بقية حديثنا والسلام عليكم ورحمة الله) أما بداية الحلقة الحادية عشر فقد كانت كالتالي: (أيها القارئ الكريم رأينا في حديثنا الماضي انتظار الشيخ الطيب العقبي جواب خصومه الطرقيين في قصة المباهلة لكن هذا الجواب تلقاه الإمام ابن باديس بضربة هراوة على يد أحد الأشقياء وقد أثارت هذه الحادثة للشاعر محمد العيد ودي هو ذا يقصها علينا في براعة وروعة ويقول:

(16) ختم المؤلف هذه الخلقة بقوله: (وموعدنا مع القارئ الكريم في حلقتنا المقبلة لنواصل معه حديثنا عن مجلة الشهاب).

الفصل الرابع

مجلة "الشهاب" ومعركة الانتماء

صورا صادقة عن حركة جيل

ما زلنا أيها القارئ الكريم(1) نوالي دراستنا حول مجلة "الشهاب" ونحن إذ نطيل في هذه الدراسة إنما نستعرض صورا صادقة عن حركة جيل كامل مليء بالأحداث والانقلابات، سواء كان ذلك في الميدان السياسي أو في الميدان الاجتماعي، أو في الميادين العلمية والثقافية، وإن الفترة التي عاشتها "الشهاب" بين سنتي 1925 و 1939 لهي الفترة الحساسة في تاريخ التطور الجزائري. وهي المرحلة الخطيرة ولا نقول الحاسمة التي تصادمت فيها النزعات والآراء واشتبكت فيها التيارات المتباينة، واحتدمت فيها المعارك بين اليقظة والجمود، بين الصلاح والأوهام، بين الاستعمار والنزعة القومية، بين العلم والجهل، بين الفقر والأخذ بأسباب المنعة. بين الفردية والانعزال، بين فكر التكتل وتأليف الجماعات.

ففي هذه المرحلة نشأت الأحزاب السياسية، وتولدت المعركة الاستقلالية، وتأسست جمعية العلماء وتكون نادي الترقي، وبرزت جل الجرائد العربية بمختلف نزعاتها واتجاهاتها. وفي هذه المرحلة ظهر الاستعمار بوجهه السافر يتحدى الأمة ويواجهها بحرب صليبية سافلة. فيقيم مهرجانات الذكرى المئوية للاحتلال البغيض، ويدس المكائد بواسطة العملاء، ويناهض الحركات القومية. ويغلق المدارس الحرة، ويصادر الصحافة الصادقة، ويحل الأحزاب الوطنية، ويعتقل الأحرار، وينسج المؤامرات الوضيعة كمقتل المفتي كحول وغيرها.

فليس إذن في باب الحديث الممل، إذا نحن تبسطنا في دراسة وافية عن مجلة "الشهاب" التي تعد من طلائع هذا العهد الخصب إذ من خلال هذه الدراسة يمكننا أن نأخذ فكرة صحيحة عن تطور الأوضاع السياسية والاجتماعية بالجزائر.

. لهذا رأينا- من الإنصاف للواقع التاريخي- بعد أن تحدثنا عن موقف الاستعمار من مجلة "الشهاب" أن نسوق نماذج عن أهم المواضيع الحية التي عالجتها المجلة في ذلك العهد...

عودة إلى نادي الترقي

كنا ذكرنا في بعض أحاديثنا السالفة أن نادي "الترقي" بالجزائر يعد وحده مرحلة من مراحل تاريخ المقاومة الجزائرية، حيث أنه كان يحتضن بإخلاص جميع الحركات التي تحتمي برعايته أو تتولد بين جدرانه. وقد نشرت مجلة "الشهاب" في عددها رقم 108 المؤرخ يوم الخميس 5 صفر سنة 1346 الموافق لـ 4 أوت /آب 1927 كلمة بقلم المرحوم الشيخ العاصمي، تعطينا بيانات دقيقة عن هذا النادي الذي بقي صامدا كالجبل في جهة العاصمة الجزائرية، يؤدي رسالته، ويواكب ثورتها المقدسة، حيث قد انفتحت أبوابه لإيواء حركة الاتحاد العام للشغالين الجزائريين سنة 1955-1956 حتى وقع أسيرا بيد الجند الفرنسي، إذ احتله الجنرال ماسو، واتخذه مركزا من مراكز الدعاية النفسانية، تحت إشراف مدام ماسو، وتحت حماية جنود المظلات، أسوة بأخيه في الكفاح وجاره "مركز حزب أحباب البيان" الذي أصبح مركزا للتعذيب في يد أعوان بيجار من جنود المظلات "وأسراب العصافير الزرقاء" و

"العصافير الزرقاء" لقب أطلقه الفرنسيون بالجزائر على الخونة والعملاء الذين يعملون في صفوف بيجار، وقد ألبسوهم لباس جنود المظلات، إلا أنه يمتاز بلونه الأزرق حتى يتمكن جنود بيجار من مراقبتهم، أنهم ليسوا بالجنود، وليسوا بالمدنيين، ليسوا بالفرنسيين وليسوا بالمسلمين، فهم طابور خاص لوضعية شاذة، مغمورة النسب، ومشكوكة الأصل، ولد غير شرعي، كحالة المتجنسين بالجنسية الفرنسية في عرف السياسة الاستعمارية، أو كالمعلقة في عرف الفقهاء لا هي بالمزوجة ولا بالمطلقة.

قالت مجلة "الشهاب" عن نادي "الترقي" تحت عنوان (أعظم ناد بالجزائر.. أجمع مسامرة، ألقاها بالنادي الزعيم السلفي الأستاذ عبد الحميد ابن باديس، وأشعل خاتمة خلب بها الألباب العبقرية السياسي الكبير الأستاذ أحمد توفيق المدني) :

"للشعب الجزائري اليوم أن يبتهج بتأسيس ناد ضخم بعاصمة الجزائر باسم (نادي الترقي). وهي خطوة واسعة إلى الأمام، وإن أردنا الإيضاح قلنا بل هي ثورة متى نظرنا إلى الركود الطويل أو الماضي المحاط بالغموض، أو إلى سبات مائة عام، وهي المدة التي أخذ فيها الاحتكاك بالمدنية الغربية يبعث بصريره هذه الأمة في سبات الأموات، وقيود الجهل والجمود. وبما أن النوادي وكثرتها وانتظامها على النسق البديع، هو الميزان الذي توزن به الأمم في رقيها وأخذها بأسباب الحضارة، كان من الميسور أن ينعت شعب الجزائر اليوم بأنه شعب دب فيه الشعور وأخذ في النهوض، والتخلص من ماضيه الحالك نظرا لتأسيس هذا النادي، وهو بفخامته وضخامته الفنية خليق بأن يكون زينة للعواصم، وتاجا وهاجا في جبين الحواضر، بل هو يستهوي الأفئدة،

ويخلب الألباب بما حوى من مرافق كاملة، وأثاث نفيس وطنافس نقية، وزرابي مبثوثة، وموائد مرصوفة، وخزائن مصففة، وخمس قاعات واسعة بهيجة، أوسعها وأروعها البهو، أو قاعة المحاضرات المطلة على بطحاء الحكومة(1). وكأن مؤسسيه الكرام ما اجتمعوا في إخراجه على هذا القالب الجميل الجذاب إلا ليعدوه للاضطلاع بأعباء عظيمة أكبر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هو دليل على أن شبيبة الجزائر تعتمد على الحقائق والإنجازات، وتستند على التفكير الرشيد، لا على مجرد الدعايات الفارغة.

لهذا فإن كل منصف لا يسعه اليوم إلا أن يقرن أسماء مؤسسي هذا النادي في سجل المجد بأسماء الأفذاذ الذين عملوا لإنهاض شعوبهم، فخلد لهم التاريخ أحسن أحدوثة وأجمل ذكرى. وقد أنجز هؤلاء السراة الجزائريون أعمالهم الجريئة بهمة ونشاط، سواء من الوجهة الأدبية أو الناحية المادية، وكل من استقصى قيمة مجهودهم الجماعي بفضل إخلاصهم، رأى من الأليق العدول عن تفصيل الجهود الفردية، وعن ذكر أسماء المؤسسين، لأن كلا منهم لا يرمي من وراء هذا العمل إلا إرضاء ضميره ووجدانه في خدمة شعبه، وبالأحرى تلبية صوت الواجب المقدس. إما من حيث مقاصد النادي فحسب الخبير أن يقتطف من القانون الأساسي للنادي هذه النبذة:

الفصل 2: القصد من تأسيس هذه الجمعية هو مساعدة المشاريع التمدنية، وذلك بالسعي في تثقيف مسلمي الجزائر علميا واجتماعيا، لذلك فالجمعية تبذل كل مجهوداتها للوصول إلى ما يأتي:

أولا- نشر التعليم العام والتعليم الصناعي.

ثانيا- مساعدة التجارة والصناعة والفنون.

ثالثا- مد يد الإعانة للفقراء.

ولهذه الجمعية أن تفتح محلا، أو عدة محلات للاجتماع حتى يمكن لأعضائها أن يتذاكروا ويتشاوروا ويتفقوا، وعليها أن تنظم دروسا، وتقوم بمحاضرات ومسامرات، وتمنح للتلامذة إعانات لإتمام تعليمهم، وتنشر النشريات، وتنشئ محلات للإرشاد، ومراكز للاسترشادات القانونية، وعيادات طبية مجانا للفقراء والمساكين، وأن تنشئ مكتبة جامعة يستعين بها الشعب والتلاميذ والطلبة، ولها زيادة على ذلك أن تنشئ أي مشروع اقتصادي أو اجتماعي يوصلها إلى غايتها".

ثم يقول الشيخ محمد العاصمي:

"وصل العلامة الأستاذ عبد الحميد ابن باديس العاصمة، وألقى محاضرة بنادي الترقي في يوم 18 جويلية على الساعة السادسة بعد الزوال، تضمنت بيانا إضافيا عن منفعة النوادي، وتاريخ النوادي والمجامع من العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي، إلى اليوم.

ثم قام بعد ذلك كاتب القطرين (أي تونس والجزائر) الأستاذ أحمد توفيق المدني، وختم الندوة بكلمة خالدة، شعر الإمام بثقل مسئوليتها حتى تصبب جبينه عرقا، قال:

"إن الشعب أيها الأستاذ قد قلدك رتبة الزعامة الإصلاحية، فأنهض بها راضيا عاملا متقدما نحو الأمام".

هنا ينتهي كلام الشيخ العاصمي، ولسنا في حاجة لتحليل نوع الرسالة التي يقوم بها هذا النادي على ضوء قانونه الأساسي، فإن ذكاء القارئ الكريم لكفيل بالقيام بهذه المهمة، واستخلاص الحقيقة التاريخية،

ولم يقف هذا النادي في حدود العمل للجزائر، فقد قام بواجبه في نطاق المغرب العربي الكبير، حيث انعقدت في أرجائه مؤتمرات الطلبة المسلمين بشمال إفريقيا مثلا، المؤتمر الذي انعقد بعاصمة الجزائر في صيف 1935 والذي اشترك فيها من تونس كل من الإخوان المنجي سليم المرحوم علي البلهوان، المرحوم الحبيب ثامر، المرحوم عبد الرحمن ياسين، ومن المغرب: الشيخ إبراهيم الكتاني والأستاذ عبد الخالق الطريس، ومن الجزائر سلمي فاتح، مفدي زكرياء، أحمد فرنسيس، وغيرهم.

وكان نادي الترقي إلى جانب كل هذا سوقا قائمة للشعر والأدب، ومبعثا للقرائح ومصدرا للإنتاج الفكري، ولم يغفل شعراء الجزائر آنذاك عن التغني بهذا النادي. (3)

نادي الترقي في قصيدة لمفدي

مازلنا أيها القارئ الكريم(4) نواصل حديثنا عن "مجلة الشهاب" وقد نقلنا لك عنها (5) معلومات قيمة من نادي الترقي بعاصمة الجزائر، ومدى إسهامه في انبعاث الحركات الإصلاحية والوطنية بالقطر الجزائري في فترة اليقظة الشعبية/ والانطلاق الدائب نحو الأهداف القومية التي انبثق عنها حدث غرة نوفمبر 1954 وكنا في ميعاد معك أيها القارئ الكريم في هذه الحلقة للاستماع إلى القصيدة الدالية التي أنشدها الشاعر مفدي زكرياء إشادة بهذا النادي وتكريما للمؤتمر الثاني لطلبة شمال افريقيا المسلمين المنعقد بأرجائه سنة 1933 وإليك هذا القصيد الموعود:

على منبر النادي أحيي بني النادي

لتستمــع الدنيا روائع إنشــادي

واملأ أكــواب النجــوم سلافــة

من الشعر جبريل بها رائح وغاد

ويتلو فم الأجيال فرقان حكمتي

وإعجاز آياتي على فتيــة الضــاد

وتلقيــه أمــلاك السماء رسالــة

لإفريقيا، يسطع بها نورها الهــادي

ســلاما بني فــاس وأكباد تونــس

وأبناء تومــرت، وأشبــال حمــاد

سلاما بني الفصحى وحراس جنــة

على بابها، رضوان علم، وإرشــاد

نزلتــم على النادي الرحيب وإنــه

لمعقل أبطــال، ومربض آســاد

أتى بكــم حــادي العروبة، مرحبا

بموكــب أبناء العروبة والحــادي

وجئتــم تناجــون الحياة كريمــة

منــاجــاة صــدار عليــها وورّاد

رعى الله والتاريــخ والعلم والحجى

قــرائــح من تبر هناك، ومن راد

وأكــرم أرواح الشــباب فإنــها

رســالــة آبــاء كــرام لأحــفــاد

وأيــد للعــلا عزائــم دونــها(6)

إلى طلــب العليا عزائــم أطــواد

ســلاما بني العلــم الشريف، تحية

من الله والاملاك يا عثرة الهــادي

كفى ما جرى يا قوم بالعلم فانهضوا

ورووا بعلم غلة الوطن الصــادي

كفى ما جرى من ذلــة واستكانــة

وساحــق ويــلات وماحق أنكــاد

إلى م الرضا بالــذل، والعلم صارخ

بنا نعــتلي للعــز مقعــد أسيــاد؟

ألم نــك أولى الناس بالشمس، إنــها

من الشرق صاف نورها ساطع باد

نهوضا بني الشرق الكرام ورحمــة

لذلــة أوطــان، تــدق كــأوتــاد

نهوضا بني إفريقيا مــن سباتكــم

فإن عــيون الحادثــات بمرصــاد

تناديكم الأجداد من الثــرى(7)

فلــبوا إلى العلــياء دعوة أجــداد

بني المغرب الجبار جودوا بنظرة

إلى لغــة، أصبحت بلبلها الشــادي

ولا بدع إن ملكت طــوعا رقابها

وصرفت في آياتــها كــف نقــاد

وسقـت سفيني فوق لجة بحـرها

والقيـت دودي عندها من رواد(8)

وكللت من شعري جبين حياتـها

وأرغمت من أبنائها أنف حمادى

ألا فلتعش وليحيي نادي شبابـها

فقولوا معي آمين: يا فتية النـادي

"الشهاب" وموقفها من التجنيس

ولم تكن مجلة "الشهاب" لتقتصر في كفاحها على الدعوة للإصـلاح ومناهضة البدع والأوهام، بل كانت ميادينها النضالية متنوعة، فلم تـهمل الجانب الاجتماعي، ولا الناحية السياسية وتحطيم برامج الاستعمار الرامية قبل كل شيء إلى تجريد المسلم الجزائري من كل شعور قومـي، وقطـع الصلة بينه وبين الأجداد والأمجاد، وذلك بالعمل على إغرائه بـالتجنيس، واستدراجه إلى الفرنسية والاندماج. فيما الحقوق السياسية لا يتمتع بـها إلا من كان فرنسيا إما أصالة أو تجنيسا على أن المتجنس بالجنسية الفرنسـية لا يتمتع هو الآخر بكامل الحقوق، فقد وضعوه في وضعية خاصة تتأرجح حسب المصالح بين فرنسية وإسلامية فهو كالوليد غير الشرعي.

والجدير بالملاحظة هو أن الشعب الجزائري المتمسـك بإيمانـه وقوميته لم ينخدع ببروق التجنيس الزائفة فكانت نسبة المتجنسين بالجزائر باعتبار عدد سكانها أقل من نسبة المتجنسين في البلاد الإسلامية الأخـرى سواء في المغرب العربي أو بالشرق وذلك رغم وسائل الإغراء الخبيثـة، ورغم وسائل الترغيب والترهيب المختلفة، و"الشهاب" ساهمت بقسط وافـو

باعتبار عدد سكانها أقل من نسبة المتجنسين في البلاد الإسلامية الأخرى سواء في المغرب العربي أو بالشرق وذلك رغم وسائل الإغراء الخبيثة، ورغم وسائل الترغيب والترهيب المختلفة، و"الشهاب" ساهمت بقسط وافر في معركة التجنيس، وكتبت فصولا متتابعة، ننقل منها نموذجا للقارئ الكريم من عددها الصادر بتاريخ 9 ربيع الثاني سنة 1346 الموافق 16 أكتوبر سنة 1927 قالت في مقال بعنوان "مسألة التجنيس والضجة الصحافية الأخيرة":

"غير لائق أن نحرم قراء الشهاب في الاطلاع على ما كتبته الجرائد الفرنسية في مسألة تهمهم، ليطلعوا على الفكر العام الفرنساوي فيها:

فأول فائدة نستنتجها في الضجة الصحافية القائمة في الموضوع هي أن الفكر العام الفرنسي في المسائل المتعلقة بالأهالي ناله تغيير عجيب بالنسبة لما كان فيه في الأعوام الفارطة، فإن نحن تذكرنا ما كان يكتب في المسألة الأهلية، والآراء التي كانت أساس الخوض فيها، دعانا الإنصاف إلى أن نقول: تلك مدة قد مضت، أفكار قد خلت، وسياسة قد انعدمت، فلنحيي في الفكر الجديد، ولكن مع كثير من اليقظة والاحتراز.

كان مسيو (اندري سيرفي) في الجريدة اليومية القسنطينية لا يعترف للمسلمين نحو فرنسا إلا بتعصبهم الديني، ورغبتهم في الثورة، وهو صاحب التآليف المشهورة في التحامل عليهم، وعلى معتقداتهم الدينية، فصار اليوم نفسه في جريدته التي تصدر بعنابة يبحث في التفاهم والتآخي، و يرى أن للجزائريين حقوقا يجب أن ينظر إليها بجانب كبير من الاهتمام والاعتبار، وأن القطر الجزائري لا يحيا بحياة عنصر واحد

وإهمال العنصر الآخر، بل لا يمكن إلا بمشاركة العنصرين في الثمرات الناتجة عن مشاركتهم في الأتعاب.

كما كان مسيو (بايلاك) بجريدة "صدى الجزائر" لا يرى في النخبة المتنورة المتخرجة من المدارس الفرنسية، والكليات إلا خطرا على فرنسا في هذا الوطن، وعلى سياستها ونفوذها فصار اليوم نفسه في جريدته الجديدة وهي (الصحافة الحرة) يدعو إلى الاعتناء بتلك النخبة ويرى أن لها حظا، وأنها جديرة بالمشاركة مع الفرنسيين في الآمال السياسية المتعلقة بالجزائر.

وكان مسيو (جولي) النائب المالي على قالمة لا يرى شيئا إلا في مرآة الاستعمار، فصار اليوم يعلن أنه منذ زار قبر أبيه الذي مات أثناء الحرب الكبرى، ووجده مدفونا بجانب قبر جندي مسلم مات أيضا في صفوف القتال، تبدلت أفكاره، ووجد في قلبه إحساسات نبيلة نحو المسلمين الجزائريين لم يكن قد شعر بها من قبل.

هكذا تحولت الأفكار نحو قضيتنا، غير أن سماء القضية الأهلية لا تزال ملبدة بالغيوم، فلنرجع إلى الحديث عن المعركة الصحافية التي هي موضوعنا، وبعدها تتمايز الأشياء.

ذكر مسيو (مورينو) في جريدته "ريببيكان" أن مسيو (طومسون) تلقى بتعجب وغضب من شخصية معتبرة، له عزم على طلب تجنيس جماعي لنخبة المسلمين، عددها نحو عشرة آلاف، وذلك التجنيس يكون مع الاحتفاظ بشريعتهم الإسلامية في الأحوال الشخصية، وتجعلهم منضمين مع الفرنسيين في قوائم الانتخابات مع كل الحقوق.

نشر مسيو (مورينو) هذا النبأ ثم حمل على الشخصية المعتبرة المجهولة، وعلى فكرة التجنيس الجماعي، وصرح أن الجزائر أصبحت في خطر ودعا أبناء جنسه الفرنسيين للتحزب معه ضد الفكرة القتالة لسمعة فرنسا ونفوذها، وصارت جريدته تصدر كل يوم ملطخة بحروف غليظة: إن الجزائر في خطر، وهكذا يحسدوننا على الموت.

هم يحسدوني على موتى فوا عجبا

حتى على الموت لا أخلو من الحسد.

ودون حجج هؤلاء باختصار:

1) لا يمكن تجنيس نخبة من المسلمين، من دون خروجهم عن مبادئ شريعتهم، لأن هذا التجنيس يجعلهم سيطوايان (أي مواطنين) من طبقة عليا. حيث لا يمكنهم تعدد الزوجات وتفضيل الرجل عن المرأة في الميراث، وتزوج البكر جبرا، دون الرضى، في حين أن الفرنسيين محرومون من هذه الامتيازات. إنها مخالفة للقانون الفرنسي، وهنا يمكن أن نعلمهم، فهم معتبرون هذه الخصوصيات امتيازات، ولا يتورعون في مكان آخر عن تسميتها بالهمجية .

2) إن تجنيس عدد من المسلمين، يقدرون اليوم بعشرة آلاف، قد يبلغ عددهم في المستقبل مئات الآلاف، فيكون خطرا على العنصر الفرنسي، وإن مشاركتهم في الانتخابات تجعلهم يزاحمون الفرنسيين في مجالس النيابة.

3) ومن جملة الجرائد التي أجابت مسيو (مورينو) جريدة تصدر بعنابة وهي "رفاي بونوا" أعلن صاحبها أن الشخصية المعتبرة المجهولة

التي ينسب إليها فكرة تجنيس طائفة من الأهالي المسلمين مع احتفاظهم بالدين الإسلامي، إنما هو مسيو (فبوليث) الوالي العام، وذكر أن فيوليت كان قد أعرب عن أفكاره أثناء محادثة وقعت بينه وبين مكاتب لجريدة تونسية، ثم علقت "الشهاب" قائلة لسنا ندري لما يتصادم هؤلاء في شيء لا يعنيهم، ولا يعنينا؟ فمالنا وللتجنس؟؟ بوصفنا مسلمين جزائريين فما أغناها وأغنانا، وسنعود لهذا الموضوع في أعداد مقبلة ونشبعه درسا وتمحيصا."

بهذه الجملة ختم الكاتب فصله والملاحظ أن الفصل منشور بدون إمضاء، مما يدل على أنه من إنشاء قلم التحرير وعلى أصح تعبير بقلم الأستاذ عبد الحميد ابن باديس(9).

"الشهاب" والحملة ضد الاندماج

كانت مساعي الاستعمار الفرنسي ترمي إلى سياسة التخدير والتنويم سيما بعد أن لاحظت في الشعب الجزائري بوادر اليقظة، والطموح إلى حياة كريمة، نتيجة حتمية لاشتداد الظلم وتفاقم العسف، والتحدي السافر لشعور الجزائريين بإقامة الاحتفالات المئوية، تلك الاحتفالات التي تدل بصفة واضحة على فساد ذوق الفرنسيين وحماقة سياستهم الرعناء وليس أقدر من الفرنسيين على ابتكار الصيغ الجديدة والتراكيب اللغوية العجيبة وأفكارهم الهدامة، وإخفاء ما فيها من سموم قاتلة وراء الألفاظ المعسولة، وكانت أنشودة ذلك العهد هي الاندماج الجزئي أي إدغام (الفائقين) في الجنسية الفرنسية إدغاما جماعيا وفصل هؤلاء الفائقين المحظوظين عن بقية الشعب اجتنابا للعدوى تلك الأنشودة

التي وضع كلماتها وقام بتلحينها في آن واحد (موريس فيوليت) وعزفتها المجموعة الصوتية المتركبة من أفراد الجبهة الشعبية وأنصارها.

إلا أن هذه الدعاية لهذه الفكرة وتهيئة الجو لها بدأ سنة 1931 أي إثر الاحتفالات المئوية مباشرة وذلك لتحويل الحكول (العقول) الجزائرية عن التفكير في الجزائر.

وكانت فكرة الاندماج حديث الصحف آنذاك، سواء منها الفرنسية الاستعمارية، أو القومية، حيث خاضت مجلة "الشهاب" هذه المعركة في طليعة صحف ذلك العهد. وكتبت فصولا ضافية في الموضوع، نرى من الفائدة أن ننقل للقارئ الكريم نموذجا منها حتى يكون إلمامه بسياسة ذك العهد كاملا.

نشرت الشهاب في عددها المؤرخ بشهر نوفمبر/ تشرين الثاني سنة 1931 الفصل الآتي بقلم التحرير فقالت: تحت عنوان:

"الاتحاد والاندماج

السياسة المنتجة والسياسة العقيمة

رب أخ لك لم تلده أمك

(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا).

" هذا الوطن الجزائري تعمره اليوم أمتنا، الأمة الجزائرية الأصيلة، والأمة الفرنسية الطارئة، وطوائف من أوروبا. والمصالح المشتركة والحاجات المتبادلة ومواقف التناصر في السلم والحرب المتكررة، ربطت بين الأمتين برباط من الود وجعلت بينهما لحمة أخوة على تباين الأصل والنسب، ورب أخ لم تلده أمك، ولا زال العقلاء من الأبناء يعملون على تقوية ذلك الاتصال، ويسعون لتوفير أسبابه، ولا

يزالون يلقون فوزا في سعيهم، ونجاحا في عملهم، رغم كل ما يعترضهم مما يكسر قلب الجزائري، ويخدش وجه تلك الصلة من إجحاف بحقوقه في مثل العسكرية والأحكام الاستثنائية وأقوال يسمعها حتى بعض الرجال الموالين كالتي يتمضمض بها مسيو (كيتولي) السيناتور هذه الأيام من دعاية (بروباغندا) لمنتخبيه ليحملهم على انتخابه بها.. ونجاح أولئك العقلاء وفوزهم إنما كان مع هذا كله لأن الشعب الجزائري شعب هادئ مسالم يقدر الجميل، ويمتلكه الإحسان، وهو يرى نفسه- عن حق ويقين- أنه قد أسدى إلى الراية الفرنسية جميلا، وقدم إليها إحسانا عظيما بالدفاع عنها، والموت تحتها، وإراقة دماء الأولياء من أبنائه لنصرتها، فهو يعتقد أن هذا الإحسان وهذا الجميل لا يذهب عندها، فوضع كل ثقته فيما يصير لدعوة أولئك الحلفاء وينتظر بصبر وأناة تحقيق الجزاء، مغضيا عن ذلك الإجحاف، متصاما عن تلك الأقوال ونعم ما فعل.

ينقسم العقلاء الدعاة إلى الاتصال إلى قسمين اثنين: دعاة الاتحاد، ودعاة الاندماج. فيرمي أولئك إلى محافظة الجزائري على جنسه ولغته وجميع مقوماته مع أخيه الفرنسي تحت راية واحدة في مواطن الحياة ومواطن الموت، ويرمي هؤلاء إلى طرح جميع مقوماته واندماجه في الجنس الفرنسي.. تلك سياسة الاتحاد، وهذه سياسة الاندماج ولكل أنصار.

ليس الترجيح بين إحدى السياستين بالأمر العسير، فإن المعقول من العلم، والثابت في التاريخ، والمشاهد في الواقع، يقضي بعقم سياسة الاندماج، وفشلها هو نجاح سياسة الاتحاد وإنتاجها، فقد فطر الله الخلق شعوبا متباينة كتباين الأفراد، ومرت على كل شعب ظروف وأحوال خاصة في قرون كثيرة زادت ذلك التباين رسوخا ووضوحا يستحيل معها

اندماجها في بعضها. ولكنه لا يمنع من تقاربها لتتحد وتتعاون على النفع المشترك بينها وبين ذلك كله. شأن الأفراد وتواريخ الأمم شاهدة بنفوذ هذا الناموس في الأجيال ثم الواقع المشاهد هو جوهر الاتحاد بالفعل بين الأمتين وظهور ثمراته وتأييد دعاته وكثرتهم خصوصا في الشعب الجزائري وترى الفشل في سياسة الاندماج وعقمها. فالمتجنسون من الجزائريين قليلون جدا جدا في الخمسة ملايين، وترى النفور باديا من الشعب الجزائري لدعوة الاندماج ودعايتها ولو علم منهم حسن نية.

هذا (جان جيليا) لا نشك في إخلاصه للقضية الجزائرية وخطبه ومقالاته أصدق شاهد على ذلك وهو -عن حسن نية- من دعاة الاندماج، وما علم كتاب الأمة هذا حتى هبوا لإنكاره عليه في ذلك معبرين عن فكرة الشعب، ونريد أن نثبت هنا قطعة مناسبة من مقال جاءنا من شاب ناهض تنديدا بسياسة الاندماج قال:

"إن ما أراد لنا (م. ميليا) من ترك شخصيتنا والاندماج في "العائلة الكبيرة الفرنسية" ليس هو بالأمر الحديث العهد حتى لا يجد أنصارا فهنالك من استهواهم هذا المبدأ فأسسوا جمعيات تحث على التجنيس وأنشئوا مجلة باللغة الفرنسية تدعو إلى تحقيق مبدئهم مرتين في ذلك آراء يكسونها لباسا علميا ويخرجونها للناس كأنها حقائق مسلمة، من لم يجر عليها في حياته الراهنة قضى على نفسه بالاضمحلال لا محالة.

وهذه الفكرة وإن ملأت رؤوس أصحابها وبذلوا الجهد في تحقيقها فأنا لا أعتقد بإمكان خروج ثمرات للوجود، وإليك السبب:

إن في أمتنا صفات وكنوزا معنوية كامنة في نفوس أفرادها كمون النار في الزناد، وأخلاقا تميزها عن غيرها وتجعل لها شخصية بارزة على حدة يستحيل أن تزول.. أو تزول الأمة نفسها.

وإن تلك الميزة حتى ولو بقيت مطوية في البصر، في سكون وخمود، إلا أنها لا تموت، فإذا أتيحت لها فرصة ظهرت.. تلك الميزة، وتلك الشخصية كم في سالف الأمم من أرادها على الاندماج فلم تترك نواياه إلا حديثا للسمر، والروح الجزائرية باقية كما هي، ما أشبهها بطبيعة أرضها: تهطل عليها الأمطار وأمواه تكاد تعيد الطوفان فتفيض منها الشعاب والوديان وتغمر المياه البطاح والانجاد وترغو على سطحها الأمواج وتزبد، ثم إذا طلعت الشمس واخترقت السحب بأشعتها النارية جففت الخالي والعامر فلا ترى فيهما إلا أثر السيل وبعض الخدوش لا تكاد تذكر.

إن من يحلم بالاندماج، ومن يعمل لتحقيقه في هذه البلاد يجهل نفسية الجزائري، وغاب عن ذهنه أنه المثال الأعلى في الضن بميزته من أن تدمج في غيرها وأن الطبيعة الغالبة عليه: إنه المحافظ الذي لا يسمح ولو بجزء من قوميته وعوائدها وتقاليدها وشعائرها ومعتقداتها وخرافاتها وإحساسها ونزعاتها وطرق تخيلاتها وتفكيرها وكل ما انطلق عليه لفظ "الشخصية" وهذه المحافظة هي السر في بقاء جنسه رغم الكوارث النسلفة للجبال.

اسأل المؤرخ الفينيقي أو الروماني، أو العربي، أو التركي، أنك لا تجد وصفا للجزائري إلا واحدا في كتب أولئك الأقوام الغابرين: وصف لا يزول: محافظ إلى الأبد؟

كيف لم يتمكن الرومان، وهم من ثبتت لهم قدم في هذا الدار، من إدماج الجزائري ولم يكن إذ ذاك -فيما نعلم- آثار مدنية سابقة أو ديانة صحيحة تحول دون الوصول به إلى تلك الغاية؟

أ فبعد أن جاء الإسلام وغرس في نفس الجزائري ذلك الأثر الخالد، يتقدم (جيليا) وأصحاب فكرة الاندماج ليبلغوا به إليها؟

وليس أعجب من أمر م. (جيليا) إلا أولئك الشبان متخرجو مدرسة المعلمين- أو طائفة منهم ـ وفيهم المتغور العارف بأخلاق الأمم و"بسيكولوجيتها"- كما يقولون- يثقون بإمكانية تحقيق فكرة الاندماج ويعلمون جهدهم في الوصول إلى ذلك ولم يعلموا أن الشعب يسخر بأحلامهم ويهزأ بأمانيهم. أبعد أن توثقت ميزته وبعثت فيه من العصور روحا جديدة وجعل يشعر بكيانه- تريد شرذمة من الخياليين أن تدحره دحرا وتقلبه بطنا لظهر طمعا في فائدة مادية بحتة؟ والإنسان مهما كانت جنسيته فهو -غالبا- يؤثر الاحتفاظ بقوميته على كل مغنم، جل من جل.

إلا أن نظرية الاندماج يصعب بل يستحيل تحقيقها، ومن الأسباب في ذلك- الأثر العميق الخالد الذي أبقى الدين الإسلامي في نفس الجزائري كما قدمنا: وهو عمل ثلاثة عشر قرنا ونيف تنوء بمحو أثره جهود أجيال طوال- هو بناء لا تنحت منه الموجات الخارجية إلا بقدر ما ينال الشاطئ من البحر في مده وجزره: تأتي الموجة بسرعة الريح كأنما سيرت الجبال فما تدنو من الشاطئ إلا وهي مخففة من غلوائها خافضة من كبريائها حتى تصير كطريق معبد فتلمس الصخر لمسا وتعود أدراجها مشمرة أذيالها، والصخر بان يطاولها في سكونه الرهيب وسكونه العجيب

محدث عن الدهور المنصرمة غير حافل بالحوادث الحاضرة التي تتألب عليه ولا يعبأ بخنق البحر ومجرته".

قد أعرب هذا الشاب الفاضل عن فكرة عامة وحقيقة مشاهدة نود أن يعلمها الذين يحبون الخير للجزائر، فيعدلوا عن سياسة الاندماج العقيمة والتي تلقى كل معارضة من الأمة وتزلزل ثقتها بالدعاة إليها ويعملوا معنا -لخير الجزائر وفرنسا- على سياسة الاتحاد المثمرة التي تجعل من الأمتين أخوة متعاونين تحت راية المحبة والسلام.

ولنحتفظ برأينا الخاص في هذا الموضوع مكتفين بعرض الفكرة السائدة في ذلك العهد بدون تعليق وبدون سبق للظروف وتطورات الزمن.

ولنترك القارئ يستخلص النتائج على ضوء المقارنات في كنف الأحداث.(10)

"الشهاب" وأبطال المغرب العربي

أيها القارئ الكريم حدثناك في حلقاتنا الماضية عن كفاح مجلة "الشهاب" في الميدان الداخلي، سواء الاجتماعي أو مقاومة الاستعمار في ميدان التجنيس والإدماج، وغير ذلك من المشكلات التي اعترضت المجلة في ذلك الوقت. و"للشهاب" جهود أخرى فهي ما كانت لتحصر كفاحها في الميدان الداخلي فحسب بل تناولت بالبحث أهم القضايا الإسلامية في المغرب العربي والمشرق العربي، وساهمت في نشر أحداث الكفاح العربي البطولي، سواء كان مسلحا، أم سياسيا في جميع البلاد العربية، وعلى سبيل المثال ننقل للقارئ الكريم نبذة وجيزة من فصل نشرته المجلة في عددها لشهر نوفمبر/تشرين الثاني 1931 بقلم كاتب الشرق الأكبر

شكيب أرسلان عن الزعيم الليبي الشهيد: عمر المختار. فقالت تحت عنوان:

"عمر المختار لم يكن ثائرا على حكومة شرعية بل كان مجاهدا عن وطن مغصوب بالقوة"

جاء فيه:

"إن الشهيد عمر المختار هو من أعظم رجال هذا العصر، ومن تتزين بسيرته صحائف التاريخ العام، فلا يماري في ذلك أحد...

منذ شنت إيطاليا غارتها الغادرة على هذا القطر الطرابلسي السيء البخت، أي منذ عشرين سنة تامة، وعمر المختار واقف في وجهها، بل واقف وقفة الأسد وفي مقدمة المجاهدين.

عشرون سنة مرت على غارة الطليان على طرابلس وبرقة وعمر المختار متقلد سلاحه يناضل عن وطنه ودينه نضالا نادر المثال، يقاوم بوسائله القليلة الضئيلة ـ وهو من كل الجهات محصور ـ دولة عدد سكانها اثنان وأربعين مليونا وعندها من الأعتاد الحربية ما لا يقل عن أعتاد أكبر دولة في العالم.

كم وقعة شهد عمر المختار في هذه (20) سنة للطليان؟

الجواب على هذا متعذر وربما يعرف ذلك المجاهدون من أهل وطنه، وربما لا يعرفونه كله لأن المجاهدين قد يعرفون شيئا من وقائعه في مكان ويجهلون غيرها في مكان آخر، والسابقون الأولون منه قد استشهدوا أو ماتوا فلا يعرفون ماذا فعل عمر المختار من بعدهم، واللاحقون المحدثون قد عرفوا وقائعه الأخيرة ولم يعرفوا وقائعه السابقة. وهو قد كان دائما على قدم الجهاد لا ملل ولا فتور ولا وهن ولا عجز.

ولقد روى مراسل "جريدة اللطان" الذي أنفذته هذه الجريدة عمدا إلى بنغازي منذ نحو شهرين لنوافيكم بأخبار عمر المختار: إنه منذ عشرين سنة لم يخل يوما واحدا من جهاده ضد الطليان، وأنه قد تجاوز الثمانين وهو لا يزال يقضي أكثر وقته على ظهر حصانه.

فعمر المختار هو من رجال هذا العصر، ومن أكبر ربطان الإسلام بلا نزاع، ولا مندوحة من تدوين سيرته وتقييد ما يمكن تذكره من وقائعه التي تفوت الحصر، وذلك في كتاب خاص مرسوم باسمه ينشر في جميع العالم الإسلامي فتتلقى منه الناشئة الإسلامية الدروس اللازمة في البسالة والصبر والثبات والإخلاص وسائر الأخلاق العظام التي لا يصعد المسلمون إلى الذروة، بعد هذا الانحدار الذي انحدروه، إلا بها.

وإذا خرج الأدباء العالمون بأخبار عمر المختار كتابا كهذا بالعربية أسرع في ترجمته إلى اللغات الأوروبية وفي ذك معنى سياسي كبير لا يخفى على أحد، فإن تاريخ هذا البطل عبارة عن احتجاج مجسد من الأمة الطرابلسية على ايطاليا المعتدية الغاصبة.

ولم يكن عمر المختار رجل حرب فقط، بل كان رجلا حكيما خبيرا بسياسة قومه مطلعا على أحوال وطنه، كان العبقري الأكبر في شجاعته وصبره وشدة إيمانه وكأنه كان صحابيا كبيرا عاش في هذا القرن. وقد استشهد ابنه وابن أخيه وكثير من أهله في هذه الحرب وأخيرا ختم الله له بالشهادة حتى تتم محاسنه في الدنيا والآخرة.

عرفته يوم كنت في طرابلس سنة 1911 ميلادية، وكنت يومئذ في معسكر أنور باشا في عين منصور بظاهر "درنة" وكان الشهيد آنذاك من جملة مشائخ الزوايا الناهضين القائمين بأمر الجهاد لكنه كان مشارا إليه

بالبنان- من بينهم- في شدة إقدامه وسعة بصيرته في أمور الحرب وكان أكثر تعويل السيد السنوسي عليه في اقتحام لظى الوقائع رحمه الله تعالى وجازاه خيرا.

ولم تقع بيني وبينه مكاتبة إلا منذ شهر بعد أن كتبت وقائع عن فظائع الطليان في طرابلس وبرقة وأحدث نشرها في الخافقين ما أحدثه من تأثير، وأفهمت دول الاستعمار أن الإسلام حي لم يمت وأن الآمال التي عندهم في القضاء عليه بعيدة على أن تتحقق، فيظهر أن السيد عمر المختار أطلع على تلك المقالة فشفت غليله كما شفت غليل الأكثرين، وبعث إلي بالكتاب الآتي:

بعد السلام الأتم، والرضوان الشامل الأعم، ورحمة الله وبركاته، قد قرأنا ما دبجه يراعكم السيال من فظائع الطليان، وما اقترفته أيديهم الأثيمة من الظلمان، بهذه الديار، فإني وعموم إخواني المجاهدين نقدم لسامي شخصكم (مقامكم) خالص الشكر وعظيم الممنونية وكل ما ذكرتموه عما اقترفته أيدي الإيطاليين هو قليل من كثير وقد اقتصدتم كثيرا، وإما لو يذكر للعالم كل ما يقع من الإيطاليين لا تجد آذانا تسمع لما يرونه من استحالة وقوعه، والحقيقة والله وملائكته شهود أنه صحيح، وإننا في الدفاع عن أوطاننا وديننا صامدون، وعلى الله نصرنا متوكلون، وقد قال تعالى: (لو كان حقا علينا نصر المؤمنين).

وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته.

في ذي الحجة سنة 1349 هـ.

وهكذا راح أمير البيان يدحض بدافع الحجج ووثيق المستندات التاريخية مزاعم الاستعماريين الذين يحاولون تبرير اغتيال عمر المختار

بوصفه رئيس عصابة، وختم حديثه الطويل الممتــــع الملــيء بالشــواهد التاريخية فقال:

" فزعم إيطاليا أن عمر المختار رحمه الله زعيم أشقياء بطشت بــه السلطة وعاملته بموجب القانون ليس فيه ذروة من الحق، وسيبقى دم عمر المختار ورفاقه المجاهدين وصمة في جبين إيطاليا وإن كانت مغـترة الآن بقوتها مستخفة بالعالم الإسلامي فسوف يأتي زمان تعــرف فيــه إيطاليــا عاقبة غرورها، تتعلم أن المسلمين لم يموتوا وأن حقهم لــن يضيــع وأن الدهر أطول من أهله".

جونيف 30 ديسمبر 1930

جناية على حرمة الصحافة

وقبل أن نختم حديثنا هذا عن "الشهاب" المكافحة لا يســعنا إلا أن نبرز ظاهرة نبيلة لا يمكن لنا أن نهملها، وهي وإن دلت على شيء فإنمــا تدل على مدى اتساع الأفق الفكري، وعلى منتهى السمو الخلقي الذي يتسم به مسير قافلة "الشهاب" ومحرر فصول الشباب، وهذه الظاهرة تتجلى فــي الموقف التضامني إزاء الاعتداء الفظيع الذي نزل بمدير جريدة تنــاهض مناهج "الشهاب" وتحارب فكرة "الشهاب" فالمدير هو "مــامي إسماعيل" والجريدة هي جريدة "النجاح" ومهما تكن الفوارق بين جريــدة "النجــاح" و"جريدة الشهاب" فإن الوفاء بمهنة الصحافة والإخلاص "لصاحبة الجلالــة" يفرضان على "الشهاب" وعلى مدير "الشهاب" أن يكتب ما يأتي:

"اعتداء فظيع وتوحش شنيع:

"بينما كان زميلنا الصحافي الشهير السيد مامي إسماعيل رئيس تحرير رصيفتنا "النجاح" الغراء ماشيا بقرية أم البواقي من وطن الحراكتة إذا بشقي يضرب بهراوة على أم رأسه وفر هاربا، فبادر السيد مامي إلى طبيب عين البيضاء ومن لطف الله إن كانت الضربة غير مهلكة، وقد حصل له اليوم تمام العافية، وأما الجاني فقد قبض عليه ومازال منكرا لفعلته رغم وجود شاهد عليه، فنحن نبدي أسفنا الشديد لما لحق زميلنا العزيز مشاركين له في المصيبة التي هي جناية على حرمة الصحافة مهنئين له بالسلامة، و راجين أن ينال الجاني ما يستحقه من العقاب حتى يرتدع أمثاله من المعتدين على رجال الصحافة المحترمين عند جميع الأمم."

ولعلنا قد استوفينا الحديث عن مجلة "الشهاب" المكافحة، وأعطينا للقارئ الكريم فكرة واسعة عن أسلوب الكفاح القلمي في ذلك العهد، ونمط السياسة الاستعمارية التي وإن اختلفت بعض الشيء في الأساليب، فهي متفقة في الأهداف مهما تقدمت العصور.

الهوامش والتعليقات

(1) حافظنا على بداية الحلقة الثانية عشر، كما هي.

(2) بطحاء الحكومة هو الاسم القديم لساحة الشهداء.

(3) اختتم المؤلف الحلقة الثانية عشر بقوله: (وموعدنا مع القارئ الكريم في الحصة المقبلة لنقول له قصيدا عن هذا النادي فإلى اللقاء والسلام عليكم ورحمة الله).

(4) حافظنا على بداية الحلقة 13 كما هي.

(5) في النص الأصلي توجد عبارة (في الحلقة الماضية).

(6) هكذا في النص الموجود بين يدينا، ولا شك أن هناك خطأ مطبعيا أخل بالمعنى وبالوزن، قد يكون الصدر كالتالي:(وأيد للعليا عزائم دونها)

(7) هكذا في الأصل، ولكي يستقيم الوزن يكون الصدر كالتالي: (يناديكم الأجداد من طيب "أو جدث" الثرى ..)

(8) هكذا في الأصل والمعنى غير واضح.

(9) وختم المؤلف الحلقة الثالثة عشر بقوله: (وسنرى في حلقتنا المقبلة وهي الأخيرة عن "الشهاب" كيف كان رأي الشهاب في مسألة الاندماج. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.)

(10) جاء في ختام هذه الحلقة 14 ما يلي : (وإلى اللقاء في حلقة قادمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.)

(11) اختتم الحلقة 15 بقوله : (ونأخذ مع القارئ الكريم وعدا في حصتنا المقبلة لنحدثه عن صحيفة أخرى من صحف ذلك العهد والسلام.)

الفصل الخامس

صحيفة "المنهاج" ومعركة التحرير العربية

تطبع بالقاهرة وتوزع بالمغرب العربي

من الصحف الجزائرية التي قامت بدور مشرف في فجر اليقظة القومية بالجزائر، مجلة "المنهاج" . وقد أصدرها مؤسسها العلامة الشيخ أبو إسحاق إبراهيم إطفيش في أكتوبر/ تشرين الأول سنة 1925 .

وكانت تطبع بالقاهرة، وتوزع بالمغرب العربي وجميع أقطار البلاد العربية، تعالج قضايا المغرب العربي والجزائر خاصة، وتخصص قسما كبيرا من صفحاتها لمعالجة القضايا الإسلامية العامة.

وكانت صادقة اللهجة، سلفية المنهج، عربية النزعة، على غرار مجلة "الفتح" التي كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب، أو مجلة "الرابطة القلمية" التي كان يحررها الأستاذ محمد علي طاهر.

وما إن قطعت سنة من عمرها حتى ناصبتها السلطة الفرنسية العداء، فمنعت نشرها بالجزائر وتونس، كما منعت إيطاليا نشرها بطرابلس.

وقد كان أنشأها الشيخ أبو إسحاق إبراهيم إطفيش إثر نفيه من تونس بقرار إداري، من طرف حكومة الاستعمار الفرنسي حيث كان من أبرز الأعضاء العاملين في اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي، ومن أكبر أعضاد الزعيم العربي الكبير الشيخ عبد العزيز الثعالبي.

الشيخ أبو إسحاق إبراهيم إطفيش

نشأ بميزاب بقرية بني يزقن، وتلقى مبادئ العلوم من علماء بلده الموجودين آنذاك، ومن أبرزهم العلامة الشيخ محمد بن يوسف إطفيش، ثم اشتغل مدة قصيرة بالتجارة فلم ينسجم مع دنيا الأرقام. وهجر الدكان والتجأ لعاصمة الجزائر حيث تتلمذ على العلامة الجزائري الشيخ عبد القادر المجاوي سنة 1910 وانكب على الدراسة والتدريس، ثم انتقل إلى مسقط رأسه بني يزقن ولازم دروس عمه الشيخ أمحمد إطفيش إلى أواخر سنة 1914. ولما توفي الشيخ إطفيش المذكور اشتغل بالدراسة لدى صهره العلامة الحاج إسماعيل ابن إبراهيم رزقون.

انتقل إلى تونس سنة 1917 وانخرط في سلك طلبة جامع الزيتونة المعمور حيث لازم دروس عدة مشائخ، أبرزهم الشيخ محمد بن يوسف شيخ الإسلام الحنفي والشيخ محمد النخلي والشيخ عثمان بن الخوجة.

وبعد نفيه واستقراره بالقاهرة، اشتغل بالتأليف وطبع الكتب النافعة، ومن جملتها "الدعاية في سبيل المؤمنين" و "رسالة النقد الجليل على العتب الجميل" وجدد طبع كتاب النيل المعتمد في المذهب الإباضي للمؤلف العلامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي بشرح الشيخ محمد اطفيش كما طبع كتاب "الذهب الخالص " وغيره من تآليف له في الفقه الإباضي وألف كتابا ضخما في عدة أجزاء عن تاريخ الإباضية لم يطبع حد الآن.

واشترك في عدة جمعيات إسلامية، كجمعية " الشبان المسلمين " و"الهداية الإسلامية" و "الرابطة الشرقية" التي كان يرأسها الأستاذ أحمد زكي باشا، كما شارك في عدة مؤتمرات إسلامية كالمؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد بالقدس سنة 1936.

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية توظف في القسم الشرعي بدار الكتب المصرية حيث لا يزال إلى الساعة موظفا بها.

يعد من أبرز المصححين في القسم الشرعي بالدار المذكورة. حيث عهد إليه بتصحيح الطبعة الثانية من تفسير القرطبي، وقد عهد إليه بتصحيح بعض الأجزاء من "نهاية الأرب" للنويري، كما أشترك في تصحيح الطبعة الأخيرة من مصحف "الملك".

"المنهاج" من منظور "المنتقد"

وقد جاء تقريظ مجلة "المنهاج" بجريدة "المنتقد" حيث كتبت عنها في عددها الصادر بـ 13 محرم سنة 1344 الموافق لـ13 أوت/آب سنة 1925 فقالت تحت عنوان "مجلة المنهاج":

" أكتب هذا، وبين يدي العدد الأول من مجلة "المنهاج" التي أنشأها العلامة الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري المقيم بالقاهرة، لأقدم لإخواني الجزائريين هذه المجلة الراقية التي هي أول نشرة جزائرية في الشرق، وأدعوهم إلى مؤازرتها، لتظهر هنالك بالمظهر الشريف، وتعرب عن حالهم أمام أمم الشرق وأبناء العربية، وتقوم بنشر الحقيقة عن حالتهم بالجزائر في كفاح مجيد، وهي مجلة علمية اجتماعية سياسية نصف شهرية تصدرها بالقاهرة غرة كل شهر مؤقتا، عنوانها: المطبعة السلفية بشارع خيرت رقم 40 بالقاهرة. وهاكم شيئا مما قال في افتتاحيتها، وهو يبين خطتها ومشربها قال:

"ولا نألو جهدا ولا ندخر وسعا في الإلمام بمواضيع علمية ومسائل اجتماعية ومقتطفات أدبية إفادة للقراء الكرام. ومن الدفاع عن

الأمة (يعني الأمة الجزائرية) وإيقافها على مجاري الأمور بالبلاد العربية، وفي إخلاص النصح لها، وللحكومة التي تدبر شؤونها، كما أننا لا نحرم إخواننا أهل الشرق من أنباء بلادنا المغرب العربي، ليحصل التعارف والارتباط التامان بين الأقطار الإسلامية وشعوبها لتتضامن في العمل على إحياء المجد المندثر للإسلام.

ذلك المجد الذي جاء به القرآن فسعد به العالم حينا من الدهر، وأعطى للبشر أرقى تشريع وأسمى نظام. عسى أن يعود شبابه، وما ذلك على الله بعزيز".

هذا ما كتبته جريدة "المنتقد" عن مجلة "المنهاج".

وكتبت عن "المنهاج" مجلة "الوفاق" التي كانت تصدرها شهريا البعثة الجزائرية بتونس وذلك في عددها الممتاز رقم 30 المؤرخ في 01 محرم 1344.

قالت:

مجلة "المنهاج" .. تحت هذا العنوان أصدر أستاذنا الجليل مجلته فتقبلها الشعب المصري وشعب شمال إفريقيا بغاية الإعجاب والثناء. وقد أسهمت الصحف في الكلام عنها وتفننت ما شاءت في تقريظها. وقد اتصلنا بالجزء الأول من هذه المجلة و"الوفاق" تحت الطبع، فإذا "بالمنهاج" قرة عين الكمال وغرة مفرق الأجيال، علم ناضج، أفكار سامية، فلسفة دقيقة، أدب غض، جهاد مجيد؛ ولا عجب فمؤسسها هو ذلك النابغة الذي أخذت عنه الأمة دروسا في التضحية الوطنية. فنرجو لمجلتنا الرواج وسعة الانتشار، ولأستاذنا سداد الخطى، وعون الله الذي لا يضيع أجر العاملين. وسنعود إلى المنهاج في عدد آخر".(1)

"المنهاج" والنهوض بالأمة

كانت هذه المجلة(2) حافلة بالمواضيع الحية، فتعالج أدواء المجتمع الإسلامي على ضوء الشريعة السمحة، والتعاليم القرآنية الصحيحة الخالصة من سخف الدجالين، وهراء الجامدين. والدين الإسلامي الحنيف يمتاز عن بقية الأديان السماوية بأنه دين الروح، ودين الواقع في وقت واحد. فهو إذ يطهر النفوس من رواسب الجاهلية وأقانيم الوثنية، يطهر الأرواح كذلك من أقذار العادات والأخلاق البائدة، ويرقى بها في المحيط التربوي إلى حظيرة الفضيلة والكرامة، ونصاعة الأخلاق البائدة.. إلى آفاق التفكير الحر الصحيح المرتكز على التأمل في الكائنات، واستخلاص العبرة من نظام التعايش السلمي بين الأمم، وهو إلى ذلك دستور الجمهوريات الديمقراطية، ومجلة الأحكام القضائية والأحوال الشخصية، ودائرة معارف، وديوان فن، وقصة وأدب، صادق التعبير عن أحاسيس الإنسان وخوالجه الباطنية "علم الله أنكم كنتم تختابون أنفسكم فتاب عليكم". هذا ما كان يفهمه أبو إسحاق وأضرابه من الدين الإسلامي، وهي من اشعام(3) المدرسة الإصلاحية الكبرى التي كان يبث تعاليمها في المجتمع الإسلامي زعيم الشرق الأكبر جمال الدين الأفغاني، ورفيقه في الكفاح الشيخ محمد عبده.

ومجلة "المنهاج" زاخرة بمثل هذه المواضيع، ويتجلى ذلك في عناوينها:

نتيجة الجهل في الأمة؛

الحق بنظرة إلى العالم؛

أسباب ضياع الأمة وضياع عزها؛

تكالب أوروبا على الشرق؛

الجمود وآثاره في النفوس؛

مظهر الحرية في الأمم؛

القوة نتيجة اجتماعية.

إلى جانب المواضيع الخاصة بالاستعمار الغربي في الشرق، وفي الشمال الإفريقي، والجزائر خاصة، ونحن على سبيل المثال نسوق نماذج للقارئ الكريم تحت عنوان (واجب الأمة) (4) في العدد 17 من مجلة "الشهاب"، قال:

"مما لا مرية فيه، رقي الغربيين في الفنون والصنائع، وانفرادهم بالنفوذين: السياسي والاقتصادي. ولا جحود لما يبتكرون للبشر من مواد الحياة والعمران والتمدن، فإنك لا ترد صوبا، ولا تقطع قطرا، ولا تقف على صناعة، ولا تدخل سوقا، إلا رأيت من آثارهم، ونتاج قرائحهم ما يبهر العقول ويحير الألباب، ولا يمر حين من الدهر، إلا وتسمع مؤتمرا لهم في الميدان العلمي، ولا تأت بلدا أو قرية إلا وجدت فيها مدارس لتعليم أبنائهم، فما تركوا صنعا من صنائع الشرقيين إلا اتخذوه وهذبوه وبرزوا فيه، حتى كادوا يقضون على سائر صناعتنا، وهذه إحدى غاياتهم في الشرق.

تسابقوا في ميدان النبوغ وسبر أعماق الفنون، واستنبطوا كثيرا صالحا، ووسعوا دوائرها بعد أن كانت مسائل ضمن علوم أخرى، وبوع فيها مؤلفون اختصاصيون، ما منهم إلا من يرى واجبه إظهار ما لم يسبق إليه، كي يخلد له ولأمته حميد الأثر، ويرفع رأس أمته عاليا بين الشعوب.

فما هو واجب الأمة تلقاء البيانات وهاتيك القوى، والمكانة التي طولبت بها على لسان نبيها في آيات الذكر الحكيم؟

أواجبها وضع الأصر(5) عنها والأغلال التي عليها بالأخذ بتلك الأسباب المسعدة. أم الإعراض عنها والبقاء تحت كلاكل الجهل والفاقة كما يدعو إليه الناعقون:

هل تقعدن على ضر ومسغبة

وعيشة شأنها التعذيب والكدر

إن مواهب النفوس البشرية لا تحدها الحدود وليست متجهة إلى وجهة واحدة، سنة الله في عباده، ليحصل العمران ويظهر سر الكون ومخبآته فتتجلى وحدانية الله وجلاله وصمدانيته (ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة).

إذن فالواجب على الأمة أن تثور على الجمود الفكري، وأن تتوجه إلى مناهل المعرفة، فتغترف من كل نوع بتوزيع الأفراد كل حسب استعداده كما أمر الله تعالى. أن تقوم طائفة بحماية الدعوة والكفاح في سبيل تحرير الأقطار الإسلامية الرازحة تحت كلاكل أوروبا نتيجة لجهلها وجمودها، وأن تقوم طائفة أخرى بتنظيم البعثات وتجشم المشاق في اكتساب المعرفة والنور، فينقطع أفراد إلى العلوم الحيوية، وآخرون إلى علوم الآداب، وآخرون إلى العلوم الدينية، وآخرون إلى الصنائع.

أما الجمود دام المزاحم(6) فاستسلام وخذلان يربأ عنهما كل عاقل.

والزاعمون أن العلوم الحيوية منافية الدين كاذبون على الدين، واصفون له بالنقص، وهم يشعرون، وقد وصفه الله بالكمال وتمام النعمة:

(اليوم أكملت لكم دينكم.. وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا).

لماذا لا تضارع الأمة الإسلامية غيرها من الأمم المتمدنة، وهي الأمم المتمدنة بالدين الذي فتح أبواب الشرف والكرامة في وجوه الأنفس الحرة، وليست هذه المضارعة دفعا للتفوق فقط ــ بل الواجب يأمر بذلك ــ وهي الأمة التي أنبأها دينها بأنها ستحاسب على ما منحها الله من المواهب والقوة الاختيارية التي هي مناط الثواب والعقاب والمدح والذم.

(من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون).

إن ركب المدنية لا يتوقف حتى يلتحق به السلم وأن العلوم الحيوية قوة مندفعة إلى الأمام لا يمكن إيقافها ولا حصرها، فليتدبر العقل ما دام في الوقت ما يمكن أن يلحقنا بالقافلة.

هذه فكرة "المنهاج" وصاحب المنهاج منذ خمسة وثلاثين سنة مضت وهي نسبة ذلك العصر فكرة ثورية تقدمية جريئة (7).

"المنهاج" وقضية فلسطين

عالجت مجلة "المنهاج" مختلف المواضيع الحية الحساسة التي كانت تشغل بال أقطاب العروبة في ذلك العهد، وتهم قادة الحركات الإصلاحية والسياسية في كامل الشعوب العربية المغلوبة على أمرها، فنجد فيها فصولا قيمة للفضيلة (فضيلة الشيخ علي الزنكلوني) تحت عنوان: "بحث فلسفي في الاستعمار".

ونجد حملات موفقة للمجاهد الطرابلسي الشيخ سليمان الباروني ضد المعاهدة الإنجليزية السعودية وضد "مؤتمر الخلافة الإسلامية" المنعقد بالقاهرة في شهر رجب سنة 1344 وقرأ ونقرأ للأستاذ عبد الرحمن الرافعي فصلا ممتعا عنوانه "فرنسا والجزائر".

كما أن "المنهاج" تناولت الأحداث الهامة التي نزلت بالجزائر في ذلك العهد، كمسألة "الاندجينا" أو "الأحكام الاستثنائية" ومحاربة فرنسا للغة البلاد، وعرقلة حركات المصلحين بالوقوف في وجه جمعياتهم ومدارسهم الحرة، إلى غير ذلك من المظالم التي كانت الحكومة الاستعمارية نصبتها على الشعب الجزائري بلا شفقة، ولا رحمة باسم النظام والمدنية واحترام القانون.

وإذا كانت السلطة الاستعمارية قد منعت انتشار المجلة بالجزائر وتونس ومراكش وطرابلس فإنها كانت تتسل إلى هذه الأقطار بطرق سرية مختلفة، وكانت رسالتها تنتشر في الأوساط بطريقة منظمة، كما أن مركزها في الشرق ضمن لها أن تعمر أربع سنوات كاملة حافلة بالجهاد القلمي الماجد في الميدانين: السياسي والفكري، وما بينهما من تعديل المجتمع وتصحيح أوضاعه، ومن بين النماذج التي نسوقها للقارئ الكريم عن مجلة "المنهاج" هذا الفصل الذي كتبه مجررها الشيخ إبراهيم إطفيش عن فلسطين أيام كانت الدسائس البريطانية تعمل في خفاء وخبث لتدعيم اليهود بفلسطين وتنشيط هجرتهم إليها استعدادا لإنشاء الوطن القومي اليهودي وفاء لوعد بيلفور.

قالت "المنهاج" في عددها السابع في المجد الأول بتاريخ فاتح رجب 1344 تحت عنوان: "أحوال فلسطين":

"لا ريب أن الصهيونية خطر كبـير يـهدد الشـرق، ولا سـيما الحركات الإسلامية على الأخص، وما أوجدتها السياسـة البريطانيـة إلا لتجدها عدة بين يديها لتوطيد مطامعها الاستعمارية وعلى الأخص لتمكيـن نفوذها في جزيرة العرب، وهي لعمر الحق خيانة خبيثة مدبـرة بمـهارة، وقد كانت الصهيونية أحلاما فارغة أو خيالات وهمية حققها المستعمرون، وأظهرتها يد الاستعمار الملوثة بحقوق الشعوب الضعيفة وقـد كـانت ولا تزال الصحف الفلسطينية تعقد الفصول الطوال على ما ترتكبه الحكومـة من الحيف والضيم في جنب الفلسطينيين، بينما الصـهيونيون الأغـراب عنا(8) يرغبون في برد العيش، وبحبوحة العافية، وهـم يرتكبـون نحـو الأهالي كل عسف ولا يخجلون إذ يقولون إنهم أهـل البـلاد الأصليـون وأنهم استحقوا ذلك بأعمالهم، وأشباه ذلك في الكلام الفارغ.

بينما كانت الأفواج منـهم تـرد علـى الجبـال فـي شـمعتها واغبرارها(9) من أرجاء الأرض، ولو حمدوا النعمة وشكروا البلاد التـي آوتهم وصافوا أهلها بقلوب سليمة وجدوا منهم كرما وافيا".

وقد نشرت اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربـي الفلسـطيني السـابع فصولا في الهجرة المتدفقة على البـلاد، واحتكـار اليـهود لامتيازات الحكومة، وإلى القارئ فصلا منها يشرح في جلاء تام محاباة الصـهيونيين واستئثارهم بخيرات بلاد الناس، لا بعجز أهلها، ولكن بتأييد السـلطة لـهم وحرمان الفلسطينيين.

قالت اللجنة:

"إن الحكومة لم تظهر محاباة لليهود أكثر من سخائها المستمر فـي منح الامتيازات لأفراد تلك الطائفة، وأن الامتيازات الكبرى التي منحـت

لهم لحد الآن هي امتيازات "روتبرغ" في الأردن و "يافا" و"حيفا" لتوصيل الكهرباء، وامتياز "الكبارة" وامتياز استخراج الملح في "عتليت" وامتياز اللاسلكي.

ورغبة في الاختصار نعدد فيما يلي نقاط الاعتراض التي يرفعها أصحاب البلاد العربية على كل في هذه الامتيازات:

1) امتياز "روتبرغ" في الأردن:

أ- لم يوضع للمناقصة العلنية، وأعطي سرا.

ب- أعطي لرجل يهودي روسي التبعية مع أن أحد مقاولي العرب الفلسطينيين طلب هذا الامتياز قبله فرفض الطلب.

ج- إن الحكومة لم تستشر السكان أمر هذا الامتياز مع أنه يؤثر تأثيرا مباشرا على مصالحهم الحيوية.

2) إن المادة التي تنص على وضع القانون الأساسي للشركة لم تعتبر ضمنا لقرب فلسطين وشرق الأردن، أو لحكومة شرق الأردن أي وجود على الإطلاق:

هـ- لا يزال الرأي العام جاهلا ماهية ذلك القانون الأساسي.

و- إن صاحب الامتياز لم يتحصل على 200 ألف جنيه في المدة المعنية في رأس مال هذه الشركة كما نصت على ذلك الاتفاقية، ولهذا وجب إلغاء الامتياز.

وهكذا راح تقرير اللجنة يحلل على ضوء القانون والمنطق فحوى تلك الامتيازات الظالمة التي كانت توزع على اليهود بسخاء على حساب العرب أبناء البلاد، مما يدل أن تصميم دولة إسرائيل كان أقدم مما

يتصوره الكثيرون، وكان ينفذ في أجزائه الصغيرة قبل أن تتمخض السياسة الغربية عن هذا الوليد غير الشرعي، دولة إسرائيل اللقيطة.

وتختم اللجنة تقريرها قائلة:

"مما تقدم يتضح أن العربي الفلسطيني لا حظ له في بلاده إلا الانتساب الصوري، أما خيرات البلاد فقد احتكرها اليهود المهاجرون بواسطة الامتيازات والتشجيعات الحكومية المادية والأدبية، وهذا لا يكون في نظر اللجنة عائقا أساسيا دون كفاح العرب في سبيل استرجاع حقوقهم وفرض وجودهم في بلادهم، وإقامة السدود دون هذه الهجرة اليهودية الجارفة المنذرة بأجسم الأخطار والمهددة بضياع فلسطين من يد أبنائها العرب، في يوم ما، إذا لم يأخذ العرب بأسباب الجد".

هكذا تختم اللجنة تقريرها الطويل الذي نشرته "المنهاج" بحذافيره، ونحن نقول اليوم لهذه اللجنة الموقرة بعد خمسة وثلاثين سنة أن أكبر قسط في جريمة فلسطين يتحمله العرب أنفسهم، تلك الجريمة النكراء التي بدأت بالأسلحة الفاسدة، وختمت باتفاقيات تجارية مع إسرائيل، وأخيرا باعتراف الشاه. وقديما قيل في حكاية الزباء: "وهل يحزن الغير دم أضاعه أهله ؟".

الهوامش والتعليقات

(1) اختتم الكاتب هذه الحلقة 16 بقوله: (ونحن إذا بسطنا للقارئ الكريم هذه البيانات عن مجلة المنهاج وصاحبها، نودعه على وعد اللقاء في الأسبوع الآتي حيث نعرض عليه بعض النماذج الحية مما كان يحرر بمجلة المنهاج، والسلام.).

(2) بدأ هذه الحلقة 17 بقوله : (مازلنا أيها القارئ الكريم مع أبي إسحاق إبراهيم اطفيش في مجلة المنهاج).

(3) هكذا في الأصل، ربما يقصد (إشعاع).

(4) هكذا في الأصل، ربما سقطت كلمة " منشورة أو صادرة".

(5) الأصر: الثقل والذنب

(6) هكذا في الأصل، والمعنى غير مفهوم.

(7) نهاية الحلقة الإذاعية 17 وبداية الحلقة 18 المتعلقة بقضية فلسطين.

(8) في النص الأصلي (الصهيونيون الأغراب عنا الظالمين يرغبون في برد العيش) وقدا رأينا تصويبه على النحو السابق.

(9) هكذا في الأصل، والمعنى غامض.

(10) حافظنا على نهاية الحلقة 18 كما أزدها المؤلف.

الفصل السادس

صحافة الأفراد

ومواصلة الإصلاح

بسكرة وبوادر النهضة

كانت(1) ببلدة "بسكرة" يقظة حماسية بالقطر الجزائري، وهي أجمل بلدة في جنوب قسنطينة، وتعتبر عاصمة الصحراء الشرقية، ومحور الحركات الاقتصادية بإقليم "الزاب"، ذلك الإقليم الغني بمنتوجاته ذات السمعة العالمية من تمر (دقلة النور) وتمر الغرس وغيره من الأنواع التي أصبحت أوروبا تستورد منها الكميات الضخمة في الأيام الأخيرة سيما إنجلترا، كما أن إقليم (الزاب) يتمتع بماض مجيد في تاريخ الحركة السياسية والفكرية ببلاد الجزائر. وناهيك "بمسيلة" التي كانت عاصمة الحماديين السياسية والعلمية، وازدهرت في عهد جعفر بن علي أحد ملوكها العظام الذين كانوا سببا لنبوغ كثير من فحول الشعراء، أمثال ابن هاني وغيره.

كانت بسكرة إبان الفتح الإسلامي الثالث مركزا للقيادة الإسلامية العليا، ولا تزال أحد قراها تحمل اسم الفاتح العظيم عقبة بن نافع، وهي القرية التي تسمى "سيدي عقبة" إلى يومنا هذا، كما ساهمت بسكرة في النهضة الإصلاحية بأكبر قسط ما بين عام 1925 و 1940. لقد ضربت الرقم القياسي في مناصرة الثورة التحريرية الكبرى، وكانت في طليعة البلدان التي لبت داعي الجهاد منذ اللحظة الأولى، ومن جبالها انبعثت الشرارة الأولى لثورة نوفمبر 1954 المباركة.

وفي فجر المقاومة القلمية كانت بسكرة والزاب سوقا نشيطة لاستهلاك منشورات وصحف الحزب الإصلاحي المطبوعة بمطبعة قسنطينة، وبعاصمة الجزائر، وكانت مرتعا خصبا لنمو الدعوات الإصلاحية لما في سكان الصحراء عادة من استعداد فطري قديم احتضن

المبادئ الإنسانية، والرسالات السماوية نتيجة للذكاء الوقاد والفكر الثاقب والقريحة البناءة وتلك، هي أبرز الصفات التي يمتاز بها غالبا سكان الصحراء.

التعريف بـ "صدى الصحراء"

كان في مقدمة الصحف التي شاركت في هذه المعركة سنة 1925 جريدة: "صدى الصحراء" وهي جريدة علمية أدبية اجتماعية، انتقادية، شعارها "العمل على درء المفسدة قبل جلب المصلحة".

تبرز يوم الاثنين من كل أسبوع ببسكرة. صدر عددها الأول يوم 23 نوفمبر/تشرين الثاني سنة 1925 وكان يديرها ويحررها السيد أحمد بن العابد العقبي، وتطبع بالمطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة، وهي المطبعة التي كان يديرها أحمد بوشمال، وكانت جميع الصحف الإصلاحية تطبع فيها.

أما صاحب هذه الجريدة، فكان من أنشط دعاة(2) الإصلاح، ومن أعضاده البارزين (3) الشيخ الطيب العقبي، إذ ينسبان معا لقرية "سيدي عقبة". وكان يعالج في جريدته "صدى الصحراء" أهم القضايا الاجتماعية والسياسية مثلما تدل عليه عناوينها المتعددة مثلا:

- الإسراف في المهور، تنشيط في العزوبة.
- اتقوا الله في أبائكم.
- افتحوا المدارس وأغلقوا السجون والحانات.
- لا واسطة بين العبد وربه.
- أسباب فساد المجتمع العربي.

ـ العرب أمة واحدة.

كانت هذه عناوين جريدة "صدى الصحراء" ومنها أهمية نستشف المواضيع الحساسة التي تكافح من أجلها، وقد عاشت هذه الجريدة في محيط من التضييق الإداري حتى وقع تعطيلها من طرف إدارة الاستعمار يوم 26 ديسمبر/كانون أول سنة 1926.

جريدة "الحق" البسكرية

وعلى إثر تعطيلها قام أحد أبناء "سيدي عقبة" بإصدار (4) جريدة أخرى سماها "الحق" وهي جريدة حرة أسبوعية مباحثها في العلم والدين والتهذيب والسياسة، مديرها وصاحب امتيازها الأستاذ علي موسى العقبي، تصدر بمدينة بسكرة يوم الجمعة من كل أسبوع. تطبع بمطبعة النجاح بقسنطينة، صدرت في أفريل/نيسان سنة 1926 الموافق لـ 07 شوال سنة 1344 وكانت كزميلتها "صدى الصحراء" تواصل الكفاح في نفس الميادين الاجتماعية والإصلاحية والسياسية، وقد كتب لها أن تعمر سنة واحدة بعد صدى الصحراء، ولفظت أنفاسها مخنوقة بيد الإدارة الاستعمارية يوم 16 ماي/أيار سنة 1927.

نقدم إلى القارئ نموذجا من جريدة "الحق" فنجد في عددها الحادي عشر المؤرخ في 15 محرم 1345 الموافق لـ 25 جويلية/تموز سنة 1926، دراسة تاريخية حول: "الحمامات" بقلم مدير الجريدة، قال:

" يبتدئ تاريخ الحمامات من أول التاريخ القديم، لأن الاستحمام كان في غابر الأيام من الواجبات الأولية للشعائر والمواسم الدينية، ولا تزال آثار هذه الحمامات العتيقة إلى يومنا هذا قرب الهياكل والمعابد في

الهند وإيران ومصر وبلاد الآشوريين، وكان قدماء المصريين يقدسون نهر النيل السعيد، وكذا أهل الهند لا يزالون يعدون نهر "الكنج" مقدسا.

وأول ديانة فرضت التطهير بالماء قبل الشروع في العبادة، هي الديانة الموسوية- كذلك أيام الدولة اليونانية القديمة كان استعمال الحمامات شائعا جدا، وقد ذكر الشاعر اليوناني العظيم (هومير) فوائد الحمام السخن بعد التعب والرياضة، ولذلك كان يوجد كثيرا من الحمامات العمومية والخصوصية في أثينا- وفي أيام الرومان اشتهرت الحمامات وانتشر استعمالها في بلادهم ومستعمراتهم.

بعد القرن الخامس من الميلاد أهملت الحمامات وقل استعمالها في أوروبا، وفي القرن الثامن عشر كانت الحمامات العمومية مجهولة بالكلية، ولكنها اشتهرت وذاعت في الشرق في تلك العصور، وجدد شهرتها العرب في بلادهم خصوصا في الإسكندرية وبلاد الأندلس، ومن ثم أخذ الصليبيون يجددونها في أوروبا بعدما انتشرت في بلاد الشرق، وفي سنة 1844م صدر قانون بالتصريح ببناء حمامات عمومية في بلاد الإنجليز وازدادت من ذلك الوقت حتى عمت معظم مدنها وقراها"(5).

في مواجهة الحركات المعادية للإصلاح

وسط هذه الانتفاضة الإصلاحية التي أحدثت في المجتمع الجزائري هزة في العقول والأفكار، وكونت اتجاها صحيحا لحركات المقاومة المختلفة المناهج، رأت المصالح الإدارية المختصة بالشؤون الإسلامية في الجزائر أن تبعث حركة جزائرية تكون شوكة في جنب دعاة الإصلاح، (وشراكا للعاملين على بث)(6) الأفكار التحررية وتركيز

فكرة القومية العربية بإنعاش الوعي الوطني، وإشاعة التعليم القومي بأرجاء البلاد.

بين عشية وضحاها تبنت طريقة "العليوية" بمستغانم هذه الحركة الدينية ظاهرا، الإدارية من وراء الكواليس السوداء، والطريقة العليوية هذه يرأسها مؤسسها الحاج أحمد بن مصطفى بن عليوة بمدينة مستغانم بالغرب الجزائري، وهي إلى جانب إسرافها في (مدرسة البدع والخرافات)(7) تمتاز بممالاتها للاستعمار، وخدمة ركاب العدو الغاصب، وشيخها يدعي العصمة وينسب إلى نفسه من المعجزات والكرامات ما قد يجعله في مصاف الأنبياء والمرسلين، وأتباعه يحجون إليه كل سنة، في مواكب زاحفة، يلتمسون لديه المغفرة والزلفى، وهم يقبونه بالعربي الأكبر، غيث الأنام، وحامي الإسلام، وحامل لواء الشريعة المطهرة، وله صلات وثيقة بالكنيسة الكاثوليكية، وهي التي مهدت له الطرق لإنشاء زوايا عليوية بإيطاليا وفرنسا وإنجلترا وإسبانيا وألمانيا وحتى أمريكا.

وقد زود ببث "الخلوة" في زاويته بجهاز كهربائي غريب، أحكم تصميمه من طرف بعض الجهات الحليفة، وهذا الجهاز يعينه على انتزاع الثقة العمياء من مريديه وصورة ذلك:

يقضي أتباعه مدة طويلة من غير أن يظفروا برؤيته، فهم فقراء وإخوان لا يتصلون إلا بمسئوليهم من (المقاديم)، فإذا اقتضت الحاجة ترقية أحد الإخوان إلى درجة إما لذكائه، وإما لإخلاصه، وللاحتياج إليه في القيام بمهمة، يتكرم عليه برؤية الشيخ بن عليوة، وزيارته في الخلوة، فلا يخرج منها إلا وقد أصبح أكثر إيمانا بالطريقة من ابن عليوة نفسه فماذا يقع في هذه الخلوة الغامضة؟

الشيخ جالس في دهليز مظلم، وعلى جنبيه أسدان مصنوعان بكيفية خاصة، وعيناهما أنابيب كهربائية صغيرة حمراء، ورجلاهما تتحركان بطريقة آلية، وقد أطلق على درج السلالم المؤدية للدهليز تيار كهربائي مكيف، ويشترط على الزائر أن يهبط حافي الرجلين، فما أن يضع رجليه في الدرجة الأولى في السلم، حتى يقفز مرعوبا من لسع التيار الكهربائي، فهناك يأمره الإخوان بالرجوع، وزيادة التطهير، وتصحيح النية والإيمان بالشيخ، مفسرين تلك الظاهرة بأنها أثر من آثار غضب الشيخ على الزائر، لأن نيته لم تكن خالصة، ثم تتكرر اللعبة ثانية وثالثة ورابعة، حتى إذا سمح له برؤية الشيخ(بعد تهذيم أعصابه وإعداده نفسانيا للاقتناع بكل شيء)(8) أمسكوا من إطلاق التيار الكهربائي على السلالم، فيرى الأسدين وعيناهما تبرقان، وقد ملأ المكان زئيرا مزعجا، وذلك كله متوقف على ضغطة فوق زر كهربائي بجانب الشيخ الوقور، ولن ينفك الأسدان عن هذه المسرحية إلا بعد أن يغمى على الزائر الكريم، ثم يسعف بالمنعشات، فيستفيق في جو من الهدوء والسلام، من هنالك يفوز (بلثم مرضيا)(9) ويذهب إلى حيث اختارته العناية. بهذه الطريقة الأتوماتيكية يسلط الشيخ على العقول ويسخر النفوس والجيوب.

جريدة "البلاغ الجزائري"

وكان لزاما لحركة كهذه أن تعتمد على طريقة جديدة لنشر دعايتها، ومناهضة خصومها، وما دامت تستعمل الوسائل العصرية العجيبة لإقناع مريديها، فأصدرت (مجردة)(10) "البلاغ الجزائري" بمدينة مستغانم يوم 24 ديسمبر /كانون أول 1926، وقد أسندت إدارتها لصاحب

امتيازها السيد حمدوني محمد محي الدين، ثم انتقلت إلى إدارة السيد عمروش الأخضر الذي واصل إصدارها إلى سنة 1956 حيث توفي بعاصمة الجزائر، وهي تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع وقد كتب عليها أنها جريدة دينية علمية إرشادية إخبارية تحررها نخبة من أبناء الجزائر شعارهم: "نحن مسلمون قبل كل شيء"(11). وقد طرزت بالآيات الكريمة الآتية: "فإن أسلموا لقد اهتدوا فإن تولوا فإنما عليك البلاغ" ـ "أن الدين عند الله الإسلام" ـ "إن في هذا البلاغ لقوم عابدين" ـ "ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه".

ومن فصولها: فصل تحت عنوان "كتاب مسيو فيوليت":

" لقد نشر مسيو فيوليت الوالي العام على القطر الجزائري كتابا تحت عنوان (هل الجزائر ستعيش؟) وإنه والله لكتاب قيم نزيه موافق للمبادئ الإسلامية الطاهرة، خلافا لما يقوله بعض المغرضين الانفصاليين الذين يتبجحون بالاستقلال، وهو في الحقيقة ضرب من الخيال لا يكون إلا في رؤوس المجانين.

إن فكرة الرجل العظيم مسيو فيوليت تتلخص في اعتبار جزء من الجزائريين فرنسيين، وإدماجهم في المجموعة الكبرى، مجموعة فرنسا أم الوطن، ذات العلم المثلث الألوان ذلك العلم الذي نستظل بظله، وندافع عنه بنفوسنا وأرواحنا، وقد دافعنا عنه في الحرب الكبرى، وقمنا بجميع الواجبات نحو فرنسا صديقة الإسلام والمسلمين.

واليوم يجب أن نتمتع بالحقوق التي يتمتع بها إخواننا وأشقائنا الفرنسيين، وهذه الحقوق على رأس مسيو فيوليت لا تمنح إلا للنخبة المثقفة، وكبار التجار والموظفين، وهو على صواب في رأيه لأن ورقة

الانتخاب سيف ذو حدين، قد تعود بالضرر العظيم على الجهال الذين لا يحسنون استعمالها على حد قول المتنبي قديما:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى

مضر كوضع السيف في موضع الندى

فنحن نشكر مسيو فيوليت على هذه النية الخالصة، وننصح إخواننا المسلمين الجزائريين بموازرته، والثقة به، فإنه وإن كان واليا عاما على الجزائر إلا أنه لم يكن ظالما بل كان من أحرار فرنسا المنصفين، نسأله تعالى أن يطيل عمره، وأن يكثر أمثاله وأن ينصر العاملين تحت ظل الراية المثلثة المبقاة ".

نعرض هذا الفصل على القارئ الكريم بدون تعليق أما بقية فصول هذه الجريدة، فهي كلها في الطعن والتهجم على رجال الإصلاح، وصحافة 3جمعية العلماء"، وعلى الأخ الأستاذ ابن باديس والطيب العقبي والشيخ مبارك الميلي، وأبي اليقظان، والزاهري، والعمودي، وقد نشرت في عددها الصادر يوم 16 سبتمبر 1929 (12) فصلا في الرد على ابن باديس والعقبي جاء فيه:

"سمعنا بتأسيس جمعية تضم العلماء المسلمين الجزائريين، فحسبنا أنها جمعية أسست على التقوى في أول يوم، وأنها ستقوم بنشر العلم، وبث المبادئ الإسلامية في عقول أبناء الجزائر، فإذا بها تنحرف عن

مبادئها الأساسية، وتشن حربا شعواء ضد الصالحين من عبد الله، أولئك الذين حياهم الله بأنواره الربانية، وأفاض عليهم من أسراره الروحانية، ونفحاته اللدنية، ما جعلهم من المقربين لسدته العليا، أمثال القطب الرباني مصباح الظلام، وحامي الإسلام السيد أحمد بن مصطفى العليوي — إن ابن باديس وصاحبه العقبي ومن يلوذ بهم من المشوشين المشاغبين أصبحوا يهدمون الشريعة الإسلامية بنكرانهم للوسيلة والزيارة، ويتهجمون على أولياء الله معرضين عن الوعيد الذي جاء(13) في قوله صلى الله عليه وسلم: "من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب".

وذهب الكاتب في هذا النوع من الهذيان ليختم فصله بالوشاية والتحريض ويقول:

"نحن نلفت أنظار أولي الأمر إلى ما يقوم به العلماء هؤلاء، من الفتنة والتشويش، أن تهتم العدالة بإيقافهم عند حدهم، وحماية رجال الدين الحقيقيين الذين تعهدت دولتنا العزيزة بحمايتهم".

وجاء في عدد 12 أكتوبر سنة 1930 تحت عنوان "وتأتون في ناديكم المنكر":

" لماذا تأسس نادي الترقي بالجزائر..؟

كنا نظن سيكون ناديا يضم رجالا لخدمة الدين الحنيف، وبث الأخلاق الفاضلة، فإذا بجمعية العلماء تحتكره، وتتخذه ناديا لشتم في الزوايا والمشايخ إلى آخر ما في الفصل من التحريش والإساءة للنادي ورجال النادي".

هذه نماذج مقتضبة نضعها بين يدي القارئ الكريم حتى يتصور كيف كانت الإدارة تحرك رجال الزوايا بأصابعها الجهنمية من وراء

الستار، ولسنا والله ضد الزوايا ولا ضد الطرق ومشائخها، فإن للزوايا تاريخا حافلا (بالحفلات بالحسان)(14) قبل سبعين سنة مضت.

وهل بقيت اللغة العربية محفوظة ببلاد الجزائر إلى هذا اليوم بالرغم من سياسة التجهيل التي تتبعها فرنسا، منذ أن دبت في أرض الجزائر(15)

.فأكبر فضل في ذلك يعود ما قامت به الزوايا عبر التاريخ من صيانة هذه اللغة وإيصالها من الأجداد إلى الأحفاد، وأن الثورات المسلحة التي قامت بالجزائر بعد الاحتلال إلى نهاية القرن التاسع عشر كانت تتبناها الزوايا، كثورة الزعاطشة بالجنوب الجزائري، وثورة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني، وثورة جبال جرجرة التي قام بها المقراني، وثورة الأوراس سنة 1853 إلا أن هذا السلف الصالح ترك خلفا انحرفوا عن الجادة وحادوا عن واجبهم الوطني والديني، فاستغل الاستعمار انحرافهم واتخذهم مطايا لأغراضه ومعاول لهدم القومية باسم القومية، وتحطيم الدين باسم الدين، هذا الانحراف يرجع إلى أسباب مختلفة ليس هنا محل شرحها(16)

الهوامش والتعليقات

(1) هكذا كانت بداية الحلقة التاسعة عشر.

(2) في النص الأصلي " من أنشط الإصلاح.."

(3) في النص الأصلي " ومن أعضاء الشيخ الطيب العقبي البارزين"

(4) في النص الأصلي "قام أحد أبناء "سيدي عقبة" بجريدة..الخ"

(5) كانت نهاية الحلقة 19 بالعبارة التالية: "سيداتي وسادتي موعدنا في الحلقة المقبلة لنواصل الحديث عن بقية جرائد هذا العهد". وكانت بداية الحلقة 20 كما هو مثبت.

(6) في النص الأصلي "وشجي في خلث الثامين ببث .." وهو كلام غير مفهوم.

(7) القوسان من وضع المؤلف.

(8) القوسان من وضع المؤلف.

(9) هكذا في الأصل، والمعنى غير واضح.

(10) للتهكم وتحشيا لإطلاق كلمة جريدة.

(11) شعار البلاغ الجزائري هو (نحن مسلمون وكفي) وقد يكون خطأ من المؤلف أو الراقن.

(12) هكذا في الأصل، غير أن جمعية العلماء تأسست يوم 17 من ذي الحجة عام 1349 هـ الموافق 05 ماي 1931 م ولا بد أن يكون مقال البلاغ قد صدر بعد هذا التاريخ.

(13) في النص الأصلي " إلي جاي في ..الخ"

(14) هكذا في النص الأصلي ، والمعنى غير واضح.

(15) في النص الأصلي كتابة لم نتمكن من فك رموزها، والعبارة ليس واضحة بالقدر الكافي.

(16) اختتم المؤلف الحلقة 20 بقوله: "وموعدنا مع القارئ الكريم في الحصة المقبلة لنحدثه عن صحيفة أخرى من هذا العهد، والسلام."

الفصل السابع

شيخ الصحافة
ومقاومة المنع

القانون الاستثنائي والكفاح القلمي

إذا كان لقب شيخ الصحافة(1) جديرا بأحد من أرباب الصحافة بالجزائر، فالشيخ أبو اليقظان يمتاز بهذا اللقب عن جدارة واستحقاق، فلقد قطع عشر سنوات كاملة من الكفاح الصحفي المجيد يتحدى إدارة الاستعمار بالجزائر، بصبر وأناة وعزم، لا يعرف التراجع، وذلك في فترة تعد من أصعب الفترات وأقساها في مراحل الكفاح القلمي بالجزائر، فالأمة في يقظة واندفاع، والحكومة الاستعمارية ومن ورائها العملاء والصناع في نوبة عصبية حادة، والقانون الاستثنائي الجائر سيف بيدها مسلط على الحريات والرقاب، فهي تحجز وتصادر لأدنى سبب، وتحكم بدون مبرر، وبمجرد ترديد كلمات: الوطن، المجد، القومية، الحرية، الأمة الجزائرية العربية، الكرامة، العزة، يعد مساسا بأمن الدولة الداخلي والخارجي وتحريضا على التمرد والعصيان وكفيلا بأن يعجل بنهاية الصحيفة التي نشرتها إن لم يقذف بكاتبها في الظلمات.

أما كلمة "استقلال" في مقال أو خطاب فإنها كانت تعد من أكبر الجرائم التي لا يعفيها قرار مسيو "ريني" عن سنتين سجنا ومن كمشة من الآلاف تغريما، والجرائد لا يسمح لها بالانتشار إلا إذا ترجمت حرفيا بمصالح الرقابة وفحصت بآلة المكرسكوب، وكان على رأس الشؤون الأهلية (قهرمان عجوز) ومن لفيف المستشرقين ويقال له "ميرانط" وهو من أخبث الثعالب الاستعمارية التي بليت بها الجزائر، وكان الحاكم يأمره في قصر الولاية العامة يعز من يشاء ويذل من يشاء، فلا معقب لحكمه ولا رقيب، وبدون محاكمة يستطيع أن يحجز وأن يزج بصاحبها في السجن أو يقذف به في إحدى المنافي النائية بالصحراء، وطالما كان

يسطر للصحف الجزائرية مناهجها ويقوم في بعض الأحيان بوظيفة رئاسة التحرير من وراء الكواليس.

سبع جرائد في عشر سنوات

في هذا الجو المكهرب المسموم كان أبو اليقظان يصارع الأحداث ويتحدى "ميرانط" وما إن تستشهد صحيفة من صحفه حتى تتلقف الراية باليمين جريدة جديدة تحمل اسما جديدا وكان القانون الفرنسي آنذاك لا يربط صاحب الجريدة باستصدار رخصة خاصة بل كان يكفي مجرد التصريح لذلك ترى للشيخ أبي اليقظان سبع جرائد في ظرف عشر سنوات وهي على ترتيب التاريخ:

(وادي ميزاب- ميزاب- المغرب - الأمة - النور- البستان- النبراس.).

صحيفة "وادي ميزاب"

صدرت وادي ميزاب يوم 01 أكتوبر/تشرين الأول سنة 1926 وهي تصدر كل يوم جمعة، تطبع بتونس وتوزع بالجزائر، وكان أول الداعين لتأسيسها والعاملين على صدورها كالأستاذ السيد محمد ابن الحاج صالح الثميني، وهو الذي تولى رئاسة تحريرها وطبعها بتونس والإشراف على تصحيحها وتوجيهها جاهزة للجزائر. وكان الشيخ الثميني بتونس ـــ رئيسا للبعثة الميزابية ـــ إلى جانب الشيخين:

ـــ أبي إسحاق إبراهيم الذي نفي فيما بعد إلى مصر من طرف الإدارة الاستعمارية.

ـ وأبي اليقظان إبراهيم الذي انتقل إلى عاصمة الجزائر وفتح مكتبا بها لجريدة "وادي ميزاب".

وجل جرائد أبي اليقظان كانت تطبع بالمطبعة التونسية ثم انتقلت إلى المطبعة الأهلية بنهج الديوان فطلبت الحكومة الاستعمارية بالجزائر من حكومة تونس عدم السماح بطبع جرائد أبي اليقظان بتونس إلا برخصة خاصة من حكومة الجزائر، وآنذاك اضطر أبو اليقظان لطبع جرائده بمطبعة "المغرب" التي كان يملكها ابن عليوة بعاصمة الجزائر، ومديرها الأخضر عمروش رئيس تحرير "البلاغ الجزائري" سنة 1929.

وقد جمع رأسمالها من إعانات وتبرعات أفاضل التجار المزابيين، بواسطة السيد الثميني من مقاطعة قسنطينة، والشيخ إبراهيم امتياز من مقاطعة الجزائر.

ولتأسيس جريدة "وادي ميزاب" أسباب كثيرة أهمها محاربة الإدارة الاستعمارية لبعثات التعليم التي كانت تتقاطر من ميزاب على تونس (حيث يوزع أفراد هذه البعثات)(2)على مدارسها القرآنية الأهلية وجامع الزيتونة، وقد اعتمدت الحكومة في هذه المعركة كعادتها طائفة من الرجعيين المتجنسين، اتخذتهم أبواقا لدعايتها المغرضة في مساجد ميزاب وبواديه، لتنذر الميزابيين بالخطر الذي يتهدد مذهبهم وعوائدهم إذا سمحوا لأبنائهم أن يتعلموا بتونس في مدارس المخالفين.

وقد احتمدت المعركة واندلع لهيبها بين الطرفين فلم تقتصر على الحملات الصحفية بل اجتازتها إلى تأليف الكتب ونشرها، فألف الرجعيون كتاب "كشف اللثام عن أغراض بعض اللئام" ورد عليه أنصار الفكرة التقدمية الإصلاحية بكتاب "إرشاد الحائرين" من تأليف الشيخ أبي اليقظان،

ودخل المعركة شيخ من شيوخ الوطنية القدامى وزعيم من زعماء الحزب الدستوري التونسي، الشيخ صالح بن يحيى الجزائري، فكتب عدة مقالات ضد الانهزاميين بجريدة "الصواب" وجريدة "لسان الشعب" التونسيتين، وكان أسلوبه فلسفيا متأثرا بأسلوب صديقه ورفيقه في الكفاح والسجن الزعيم العربي الكبير الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وهذه المقالات كانت سببا لصدور كتاب "البراهين القاصفة"، فرد عليه بدوره الشيخ أبو اسحاق ابراهيم اطفيش(3) من القاهرة بكتاب "الدعاية إلى سبيل المؤمنين".

كانت هذه المعركة التي انتهت بفوز التقدمين سببا لإصدار جريدة "وادي ميزاب" على أن هناك سببا آخر أقل أهمية من الأول نذكره صيانة لأمانة التاريخ، وهو أن بعض الجرائد العربية الجزائرية كانت تمتنع عن نشر أي شيء يتعلق بميزاب، سواء بقلم كتابها أو بقلم بعض الكتاب الميزابيين كالشيخ الثميني، والشيخ أبي اليقظان، فساهمت جريدة "وادي ميزاب" في تطهير القلوب من بقية الرواسب المذهبية العتيقة، تلك الرواسب التي كان يغذيها الجهل وينميها الاستعمار، فكانت جريدة "وادي ميزاب" تعالج المشاكل الجزائرية العامة والمشاكل الإسلامية العربية، و(تساعد)(4) جمعية العلماء في معركتها الإصلاحية العتيدة. والشيخ أبو اليقظان من أبرز أعضاء "جمعية العلماء" منذ فجر تأسيسها.

وتمتاز جرائد أبي اليقظان بطابعها الوطني الصريح مما جعلها تلاقي حتفها بعد صدورها بقليل وقد ساهمت في الميدان الاجتماعي والميدان التربوي الأخلاقي بمجهودات موفقة، ومجموعات جرائد أبي اليقظان يمكن أن تكون مرجعا من أخصب المراجع وأوثقها سواء عن

تاريخ المعارك التحريرية بالجزائر أو عن مراحل التقدم الفكري والاجتماعي.

واحة وادي ميزاب

وسميت الجريدة باسم واحة بالجنوب الجزائري تسمى "بوادي ميزاب" يسكنها قسم من الجزائريين انحدروا من سلالات بربرية وعربية وفارسية وأغلبها من فلول الرستميين الذين بسطوا نفوذهم على جل بلاد الجزائر مدة مائة وستين سنة، فيما بين القرن الأول والثاني للهجرة.

وكانت قاعدة ملكهم مدينة "تيهرت" بالجنوب الجزائري، فاكتسحهم الصفرية والازارقة فلجئوا إلى "ايدراتن" بورقلة، ثم عمروا القرى السبع بوادي ميزاب وهم يتمذهبون بالمذهب الإباضي نسبة إلى عبد الله ابن إباض أحد رؤساء الخوارج.

ويعتبر علماء الإسلام هذا المذهب أقرب المذاهب إلى الأشاعرة، بينما يعتبر الإباضيون أنفسهم "الفرقة الناجية" ويلقبون أنفسهم "بأهل الاستقامة".

ومن أكبر أئمتهم المتأخرين:

ـ الشيخ عبد العزيز الثميني صاحب كتاب "النيل" المعتمد في الفقه الإباضي.

ـ والشيخ اطفيش، وقد ترك هذا الأخير ما يربو عن ثلاثمائة تأليف جلها غير مطبوع ومن تلاميذه:

ـ الشيخ الثميني،

ـ الشيخ أبي اليقظان صاحب جريدة "وادي ميزاب".(5).

"وادي ميزاب" والقضايا الوطنية

واصلت جريدة "وادي ميزاب"(6) كفاحها بأقدام ثابتة، وكانت الجريدة الوحيدة من بين جرائد عصرها التي تعالج بصفة بارزة ومستمرة القضايا الوطنية، والأحداث السياسية بالجزائر، مثل حركة المؤتمر الإسلامي الجزائري عام 1936 وما يليها من مراحل، فكانت تتبع باهتمام بالغ خطوات الوفد الجزائري بباريس المنبثق من هذا المؤتمر كما أنها لم تتحرج من إبداء انتقاداتها الصريحة على بعض تصرفات الوفد، وعلى المبدأ الأساسي الذي اتخذه الوفد قاعدة لمطالبه، وهو ما يسمى بمشروع "بلوم فيوليت" القاضي بسلخ طبقة من النخبة الجزائرية المثقفة من المجموعة الجزائرية، وإدماجها في الجنسية الفرنسية مقابل التمتع بحقوق طبيعية مشروعة لا تحتاج إلى التخلي عن "المجموعة" ثمنا لها.

وكانت جريدة "وادي ميزاب" وما تلاها من جرائد أبي اليقظان تؤازر بصفة غير مباشرة، وتارة بطريقة مباشرة الحركة التحريرية التي كانت تتبناها "نجمة إفريقيا الشمالية" بين عام 1930 (7) وعام 1937.

كما أن "المطبعة العربية" التي أسسها أبو اليقظان كانت لا تبخل على الحزب الوطني بطبع منشوراته السرية، مما سبب لأبي اليقظان ومطبعته تفتيشات متواصلة ومضايقات.

وقد اعتقل ابنه عيسى، وقضى سنة ببربروس لأنه طبع مناشير وجرائد "لحزب الشعب الجزائري" كما وقع اعتقاله إبان الثورة الجزائرية سنة 1956 وأطلق سبيله بعدما قضى شهرا كاملا بين يدي جنود المظلات يقاسي أنواع النكال والعذاب، وذلك بتهمة طبع مناشير لجبهة التحرير الوطني الجزائرية.

وكان للقضايا العربية العامة حظ كبير في صحف أبي اليقظان في الطليعة فلا يكاد يخلو عدد من "وادي ميزاب" أو غير "وادي ميزاب" من قصيدة أو قصيدتين، وقد كانت سوقا عكاظية يتبارى فيها شعراء الجزائر النابيين أمثال: محمد السعيد الزاهري، ومحمد العيد، ورمضان حمود، والهادي السنوسي، وبكير ابن الحاج سليمان، وعبد الرحمن البكري، ومفدي زكرياء.

وقد خصصت "وادي ميزاب" صفحة كاملة لمدة ثلاثة أشهر لنشر كل ما قيل في المهرجان التاريخ العظيم الذي أقيم في أوائل ماي 1927 بالقاهرة للاحتفال بتكريم أمير الشعراء أحمد شوقي بك، وقد صدرت الجريدة هذا الشريط بمقال افتتاحي في عددها المؤرخ في يوم الجمعة 18 جوان/حزيران 1927 بقلم رئيس التحرير الأستاذ محمد الثميني تحت عنوان "أثر الحياة في الشرق" أو "الاحتفال بتكريم أمير شعراء العرب" جاء فيه:

" في الشرق اليوم حركة مباركة في كل فرع من فروع الحياة علمية واقتصادية وسياسية.. وأظهر أثر لهذه الحياة ما نراه اليوم في أقطار الشرق كلها من التحفز للنهوض ومجاراة الأمم الحية في مناهج الرقي والتشبث بأسباب العظمة.

وقد كان هذا موضوع شك واختلاف بين المفكرين في الشرق والغرب، بات اليوم حقيقة بينة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فأصبح الساسة والمفكرون في الشرق يعملون لتنمية هذه الحركة وتقويتها وإبلاغها إلى غاية يعرف بها الغرب للشرق مقامه، وظل أولئك في

الغرب يكدون ويجدون في مختلف الوسائل لتفهم كنه هذه الحركة وبلغ أثرها وغايتها ويسعون لإيقافها عند حد (وما هم بناجحين).

وموقف الشرق إزاء هذا كله موقف الشاب الممتلئ قوة ونشاطا، أمام شيخ واهن القوى يستمد من ماضيه قوة لحاضره غافلا أن سنن الله في الخلق (بأن الدهر قلب) وتلك الأيام نداولها بين الناس.

وأجلى برهان على ما قلنا المؤتمر الأدبي الذي أقيم في أوائل شهر ماي/أيار في القاهرة أو سوق عكاظ أو الاحتفال بتكريم أمير الشعراء العرب أحمد شوقي بك، بحيث جاء القاهرة نواب عن كثير من البلدان العربية، فوقفوا يتذاكرون ما للمحتفل به من الفضل والأثر الحميد في الأدب العربي، ولا يخفى ما في هذا من تقوية روابط أخوة بين الناطقين بالضاد.ونحن نأسف لعدم وجود ممثلين رسميين لشمال إفريقيا في هذا العيد الذي يجب أن يقف فيه المغربي بجانب إخوانه الآخرين".

وقد كانت جرائد أبي اليقظان تتمتع بسمعة طيبة في الشرق العربي، وتنقل عنها شهيرات الجرائد والمجلات العربية مثل: "الرابطة القلمية" و"الفتح" و"المنهاج" و"الرسالة"، وقد كتب في تقريضها الأمير شكيب ارسلان، رسالة لأبي اليقظان نشرها في عدد يوم الجمعة 4 ماي/ أيار سنة 1928 جاء فيها:

" لوزان في 14 نيسان/أفريل 1928

حضرة الأجلاء الأفاضل أصحاب جريدة "وادي ميزاب" المحترمين، إنني تلقيت رزمة عظيمة من أعداد جريدتكم، فأحببت أن أتصفحها ولو بنظرة متسرعة وقرأت أشياء لذيذة ومفيدة فسألت الله لكم النجاح.

وما من حاجة للبيان، أن القطر الجزائري يهمنا كما تهمنا الأقطار الشرقية فعسى أن لا نكون مخطئين في تقديرنا في إخواننا الجزائريين- نعم إلى الأمام.. لا إلى الوراء..

وقد سرني ما قرأته في كتابات بعض السواح من أدباء الإفرنج عن وادي ميزاب، وكنت نقلت عبارة عن هذه الكتب، تذكرة لنفسي، وهذه العبارة بقيت بين أوراقي إلى أن ورد لي ما أرسلت فأحببت أن أهديكم إياها، وأرجو أن يكون ما فيها صحيحا. إذ ما دمتم بهذه الأخلاق، ومحافظين على شعائركم الدينية والقومية فلا خوف عليكم.

(رأى بعض السواح الفرنسيين في وادي ميزاب ـ المسيو أندري شافيون من أعضاء الأكاديمية الفرنسية في مقالة صدرت في 15 نيسان/ أفريل من مجلة "العالمين" عن الإباضية في ميزاب يقول:

"أنه زار مدينة بني يزقن في طرف الصحراء، وهي أشد بلدة إباضية تمسكا بتقاليد مذهبهم، فقال له سكرتير مجلس البلدة، وهو عندهم بالانتخابات: "في بلدتنا ليس وجود الفقهاء والعلماء منحصرا في المساجد، بل كل من في البلدة طالب، وكلهم درسوا طويلا، يحفظون القرآن غيبا مع تفسيره" فهذه مدينة الشرع، أهلها يرغبون في النظام والسلام. ويلاحظون العادات اللائقة، وهنا الغناء والصراخ ممنوعان، ولا يستحب الضحك الكثير، ثم قال: جماعة متمسكون بالتقليد، ولا يقبلون سواه، وليس عندهم غريب، بل كلهم من بني ميزاب أهل جد وعلم وانقياد للشرع)"(8).

الهوامش والتعليقات

(1) هكذا كانت بداية الحلقة 21. أما الشيخ إبراهيم بن الحاج عيسى أبو اليقظان فهو من مواليد 05 نوفمبر 1888 في بلدة القرارة وانتقل إلى جوار ربه يوم 31 مارس 1973

(2) في النص الأصلي " وتوزع على .." وحتى لا يقع أي التباس لغوي فقد رأينا إثبات الصياغة التالية: "حيث يوزع أفراد هذه البعثات على .."

(3) صاحب صحيفة "المنهاج"

(4) ما بين القوسين، إضافة من المحقق.

(5) حملت نهاية الحلقة 21 العبارة التالية: (وسنفرد حصتنا المقبلة بذكر بقية جرائد أبي اليقظان والمواضيع التي كان يعالجها، والسلام عليكم ورحمة الله.).. غير أن المؤلف لم يتناول في حلقته المقبلة إلا بعض القضايا التي كان يعالجها أبو اليقظان. أما الصحف التي أنشأها أبو اليقظان في معركته مع السلطات الاستعمارية، فهي:

ـ "وادي ميزاب" من يوم 1926/10/1 إلى 1929/01/08.

ـ "ميزاب" صدر منها عدد واحد يوم 1930/01/25.

ـ "المغرب" ابتداء من يوم 1930/05/29 إلى 1931/05/09 وقد أصدرها باسم تلميذه تعموت عيسى.

ـ " النور" ابتداء من يوم 1931/09/15 إلى 1933/05/03.

ـ " البستان" ابتداء من يوم 1933/05/27 إلى 1933/07/13 باسم تلميذه تعموت عيسى كذلك.

ـــ " النبراس" ابتداء من يوم 1933/07/21 ولم يصدر منها ســـوى ستة أعداد.

ــ "الأمة" ابتداء من يوم 1933/09/08 إلى 1938/03/03.

ــ " الفرقان" ابتداء من يوم 1938/07/05 إلى 1938/08/18.

(6) حافظنا على بداية الحلقة 22 كما هي.

(7) تذكر أغلب المراجع أنه تم الإعلان عن تأسيس " نجمـــة شـــمال إفريقيا" يوم 20 جوان1926.

(8) كانت نهاية الحلقة 21 بالعبارة التالية: (سيداتي وسادتي إلى اللقـــاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.)

الفصل الثامن

قائمة

الجرائد العربية

أثناء الكفاح القلمي والمسلح

عام إصدار الصحف العربية ومنعها

كنا في حصصنا الماضية(1) أفضينا الحديث عن مجموع الصحافة الجزائرية العربية، ابتداء من عهد الاستعمار، إلى عهد اليقظة في عهد المقاومة القلمية الأولى إلى عهد المقاومة السياسية، وحيث انتهى بنا الحديث في حصتنا الأخيرة إلى الحديث عن الصحافة التي صدرت بعد الاحتفال المئوي، ونرى من الصواب أن نجمل القول عن بقية المراحل، حيث قد أعطينا للقارئ الكريم صورة عامة عن صحافة الإصلاح وصحافة العملاء واستعرضنا نماذج مختلفة للمواضيع التي كانت تعالجها.

نحن الآن على أبواب سنة 1933 وهي السنة التي سجلت أضخم رقم في تاريخ الصحافة العربية في الجزائر،إذ يمكننا أن نلقبها بعام الصحافة، فقد صدر فيها ما يزيد عن سبع جرائد، بينما كانت السنوات التي قبلها لا تشتمل إلا على صحيفة أو صحيفتين.

والسبب في ذلك هو انتشار الوعي الوطني في سائر طبقات الأمة عن طريق الحركات الاستقلالية والحركات الإصلاحية بالجزائر، فحزب "نجمة إفريقيا الشمالية" كان يؤدي رسالته بخطى ثابتة وجريئة ويصادف كل تشجيع من طرف طبقات الأمة العظيمة، و"جمعية العلماء" عن طريق نادي "الترقي" كانت تقوم في رصانة واعتدال بالاستعانة بروح العروبة وتحطيم الأصنام النجسة التي كان الاستعمار يحييها بهالة من التهويل والتقديس.-

فشقت الصحافة العربية في الجزائر طريقها قدما، وازدادت نموا وازدهارا مع نمو الأحداث وانتشار الحركات الوطنية، ويزيدها عنت الاستعمار واضطهاده تحديا وانبعاثا، فقد لاقت هذه الحركات ولاقى

أحرار الجزائريين المسيرون لها كل أنواع العسف والمعاكسة من طرف الحكومات الاستعمارية المتوالية، حتى على يد من يسمون أنفسهم بالديمقراطيين التقدميين، فقد تجرأت حكومة "الجبهة الشعبية" التي كان يرأسها سنة 1936 مسيو (بلوم) على حل حزب "نجم إفريقيا الشمالية"، والزج برجاله في أعماق السجون، فأسس على أنقاضه أتباع الحزب المنحل حركة باسم "حزب الشعب الجزائري"(2) فعمدت السلطات لتحجيرها لمجرد اندلاع الحرب الكبرى الثانية، وظلت تعمل في الخفاء، ثم ظهرت متقمصة حركة "أحباب البيان" ثم "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" إلى أن دق جرس الثورة الجزائرية العارمة، فسكت القلم ليتكلم الرصاص.

قائمة الجرائد في بداية الثلاثينيات

فلنستعرض الآن الجرائد التي صدرت بالجزائر في هذه الفترة الحية من تاريخ كفاحها:

البرق

صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية تصدر يوم الاثنين من كل أسبوع مديرها وصاحب امتيازها السيد الرحموني محمد عبد المجيد، شعارها خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال.

صدر العدد الأول منها في مارس/آذار سنة 1927. وقد حاول مديرها طبعها بتونس، وذلك في رسالة مؤرخة بيوم 21 ماي سنة 1927 للأستاذ زين العابدين السنوسي فلم يحصل الاتفاق على طبعها بتونس.

الإصلاح

جريدة إسلامية حـرة، امتيازهـا ورئيـس تحريرهـا ومديرهـا المسؤول الشيخ الطيب العقبي، وهي جريدة حـرة إسـلامية (حـرة فـي مباحثها وهي دينية قبل كل شيء) تصدر مرة في الأسبوع في بسكرة ثـم بالجزائر.

صدر عددها الأول يوم 08 سبتمبر/ايلول سنة 1927، ساهم فـي تأسيسها وتحريرها الأستاذان محمد العيد والأمين العمودي.

المبصر الإفريقي

جريدة إشهارية اقتصادية سياسية، تـبرز مرتيـن فـي الشهر بقسنطينة، ذات أربع صفحات واحدة بالعربية والبقية بالفرنسية، مديرهـا الاقتصادي السيد سندرلي محمد الصالح، صاحب امتيازها السيد خبشـاش محمد الصالح.

الإخلاص

جريدة علمية اقتصادية إخبارية (تخدم ركاب الاسـتعمار) وهـي لسان طائفة العليوية، كتب عليها: يحررها نخبة مـن العلمـاء العاملين المعتدلين، وإنها غير انتفاعية. توزع الفاضل من أرباحها على المشـاريع الخيرية الإسلامية.

تصدر يوم الأربعاء من كل أسبوع، صدر عددها الأول يـوم 14 ديسمبر/كانون الأول سنة 1932 بالجزائر، رئيس تحريرها المولـود بـن الصديق الحافظي الازهري، مديرها السيد عمر اسماعيل.

المرصاد

جريدة دينية أخلاقية، تصدر كل يوم جمعة بالجزائر صدر عددها الأول في 31 ديسمبر/كانون الأول 1931 مديرها شاعر الأعراش محمد عبابسة الأخضري، وصاحب امتيازها (جوكلاري محمد الشريف) تطبع بالمطبعة العربية بالجزائر.

التلميذ

لسان حال الجمعية الودادية للطلبة المسلمين بشمال إفريقيا.

تصدر باللغتين العربية والفرنسية، صدرت بالجزائر في 4 نوفمبر/ تشرين الثاني 1932 مديراها السيدان علي الزواوش ومصطفى علواش، ووكيلها باسعيد بهدون بن بكير.

المعيار

جريدة سفيهة بذيئة، أسسها سفهاء الطريقة العليوية للنيل من أغراض العاملين في الحقل الإصلاحي والوطني في الجزائر، تغذيها الإدارة الاستعمارية.

تصدر مرتين في الشهر، مديرها هراس مصطفى، ومحررها جهينة، صدر العدد الأول منها في شهر ديسمبر سنة 1932.

الجحيم

جريدة فكاهية انتقادية، أصدرها سفهاء "جمعية العلماء" للرد على "المعيار" بلغة جريدة المعيار.

تطبع بالجزائر، وتصدر أسبوعيا، برز عددها الأول في مــــارس سنة1932 (3).

الحياة

صحيفة جامعة تصدر مرتين في الشهر تحـت إشـراف جمعيـة "الوفاق" وإدارة كاتبها العام يحررها مفدي زكريـــاء، صـــاحب امتيازهـــا (جوكلاري محمد الشريف).

صدر عددها الأول غرة أفريل سنة 1932 تطبع بالطبعة العربيـة بالجزائر.

الشريعة

لسان حال "جمعية العلماء المسلمين الجزائريـيـــن" تصــدر يـوم الاثنين من كل أسبوع بقسنطينة تحت إشراف الأستاذ عبـد الحميـد بـن باديس، يرأس تحريرها الأستاذان العقبي والزاهري، صـــاحب امتيازهـــا السيد أحمد بوشمال.

صدر العدد الأول منها يوم 17 جويلية/تموز 1933، صـدر منـها ستة أعداد فقط ثم عطلتها الحكومة(4).

الحارس

جريدة انتقادية أخلاقية. صدر عددها الأول بمدينة الجزائـر يـوم الجمعة 04 أوت/ آب 1933، مديرها المسؤول ومحررها السيد غريب عبد الرحمان، صاحب امتيازها المسؤول السيد جبرائيل ماسي.

الصراط السوي

لسان "حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" تصدر يوم الاثنين من كل أسبوع تحت إشراف الأستاذ عبد الحميد بن باديس يرأس تحريرها الأستاذان العقبي والزاهري، صاحب امتيازها أحمد بوشمال. صدر العدد الأول منها يوم 11 مارس/آذار 1933 بقسنطينة، برز منها سبعة عشر عددا فقط ثم عطلتها الحكومة(5).

الثبات

جريدة اجتماعية سياسية وأخلاقية تصدر يوم الجمعة بالجزائر مديرها السيد محمد عبابسة الأخضري، صاحب امتيازها جوكلاري محمد الشريف، صدر عددها الأول في 19 جانفي/كانون الثاني 1934، تطبع بالطبعة العربية بالجزائر.

البصائر

لسان حال جمعية العلماء بالجزائر، أسبوعية، صاحب امتيازها الأول للشيخ محمد خير الدين، ومديرها الأول الشيخ الطيب العقبي، ثم انتقلت إلى قسنطينة يوم 27 ديسمبر/كانون الأول 1935، وعطلتها الحكومة في سنة 1957(6).

الليالي

نشرة فكاهية انتقادية تصدر مرتين في الشهر بالجزائر مديرها ومحررها السيد علي بن سعد، صاحب الامتياز جوكلاري محمد الشريف.

صدر عددها الأول يوم 8 فيفري / شباط سنة 1936.

السنة النبوية

لسان حال "جمعية العلماء المسمين الجزائريين" يحررها الأساتذة ابن باديس والعقبي والزاهري، برز العدد الأول منها يوم 18 ديسمبر/ كانون الأول سنة 1933(7).

أبو العجائب

نشرة فكاهية نقدية تهذيبية. تصدر صبيحة كل يوم خميس بقسنطينة، صاحب امتيازها ابن الباي محمد، ورئيس تحريرها السيد العابد الجلالي. صدر عددها الأول يوم 24 ماي / أيار 1934.

المغرب العربي

جريدة سياسية أدبية اجتماعية، لسان حال "الشبان المسلمين"، مديرها وصاحب امتيازها السيد محمود بيلي، رئيس تحريرها السيد حمزة بوكوشة، تصدر يوم الجمعة.

برز عددها الأول يوم 21 ماي/أيار سنة 1937 بوهران(8).

الميدان

جريدة اجتماعية سياسية، تبرز كل يوم أحد مديرها ومحررها السيد حسن الوارزقي، صاحب امتيازها الحاج الطيب بن حملة، صدرت بقسنطينة يوم 03 مارس 1937.

الوفاق

جريدة سياسية أسبوعية تصدر بوهران كل يوم ثلاثاء، مديرها ورئيس تحريرها محمد السعيد الزاهري، صدر عددها الأول في 23 مارس/آذار سنة 1938(9)

الشعب

لسان "حزب الشعب الجزائري"،محررها مفدي زكرياء ومحمد قنانش، صدر منها عددان، اعتقل محررها الأول بعد صدور العدد الأول، ومحررها الثاني بعد صدور العدد الثاني.

ظهرت يوم 25 أوت سنة 1937.

الجزائر الجديدة

جريدة تصدرها بعاصمة الجزائر هيئة "الحزب الشيوعي"، صدر العدد الأول منها سنة 1943(10).

النصر

مجلة حكومية، أصدرتها الإدارة الفرنسية بالجزائر للدعاية سنة 1945.

المغربي العربي ..أيضا

أسبوعية يديرها ويحررها محمد السعيد الزاهري، يساندها حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" صدر عددها الأول يوم 13 جوان (حزيران) سنة 1947 بالجزائر(11).

العبقرية

تهتم بالآداب، والعلوم والفنون، شهرية، يديرها ويحررها الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، صدر العدد الأول/في شهر ماي /أيار سنة 1947.

الوطن

جريدة وطنية تصدر مرتين في الشهر بعاصمة الجزائر، لسان "حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري"، مديرها السيد فرحات عباس. صدرت في شهر مارس / آذار سنة 1948.

صوت المسجد

مجلة شهرية دينية، لسان حال الطرقية، الادارة والامتياز لمحمد العاصمي رئيس الجمعية الودادية الدينية بالجزائر.

صدر عددها الأول في شهر أكتوبر/تشرين الأول سنة 1958(12).

إفريقيا الشمالية

شهرية، علمية، أدبية وسياسية يديرها ويرأس تحريرها إسماعيل العربي. صدر العدد الأول منها في شهر ماي / أيار سنة 1948(13).

الشعلة

جريدة أسبوعية لسان جمعية العلماء، امتيازها للصادق حماني وتحريرها لأحمد رضا حوحو وإدارتها لأحمد بوشمال.

صدر عددها الأول في 15 ديسمبر/كانون الأول سنة 1949(14).

عصا موسى

جريدة نصف شهرية مديرها مبارك بن عبد القادر يحررها نخبة من الشبان والإصحاحيين صدر العدد الأول منها في 20 جويلية / تموز سنة 1950 بالجزائر(15).

الدعوة

أسبوعية مديرها أبو بكر جابر، محايدة صدر عددها الأول في 11 نوفمبر / تشرين الثاني سنة 1950.

التشاد

جريدة حكومية، تستدل بأحداث التشاد، صدرت في 13 أكتوبر / تشرين الأول سنة 1950 بالجزائر.

المنار

جريدة نصف شهرية، سياسية، ثقافية، يديرها ويحررها محمود بوزوزو، صدرت في 23 مارس 1951(16).

هنا الجزائر

لسان الإذاعة العربية لراديو الجزائر، شهرية ظهرت في شهر ماي / أيار سنة 1952.

الجمهورية الجزائرية

جريدة سياسية لسان حال حزب "أحباب البيان" صدرت بالجزائر في 1952.

صوت شمال إفريقيا

حكومية تصدرها الإدارة الفرنسية بالجزائر صدرت في شهر جانفي / كانون الثاني 1954.

مصور إفريقيا والشرق

نشرة مصورة، ملحق لجريدة "الجمهورية الجزائرية" أصدرها الأستاذ فرحات عباس .1954.

القيم

وهي دينية، لسان حال "الشباب الموحدين"، مديرها الأستاذ أبو القاسم ديفبر، صدرت في 30 أوت / آب 1952.

صوت الجزائر

جريدة أسبوعية جامعة، نصف شهرية.

مديرها مصطفى فروخي وهي لسان "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية"

صدر عددها الأول يوم 20 نوفمبر / تشرين الثاني 1953(17).

صوت الشعب

أسبوعية سياسية.

لسان حزب "الانتصار للحريات الديمقراطية"

مديرها مولاي مرباح رئيس تحريرها عبد الحميد مهري.

صدر العدد الأول منها يوم 21 جويلية / تموز 1954(18).

المقاومة الجزائرية

لسان حال "جبهة التحرير الوطني الجزائري"

تصدر بتونس نصف شهرية ابتداء من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة 1956(19)

الشباب الجزائري

لسان حال جبهة التحرير الوطني الجزائري، شهرية.

تصدر ابتداء من أفريل / نيسان 1959.

المجاهد

جريدة ثورية، "اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني الجزائري".

ظهرت للوجود خلفا عن "المقاومة الجزائرية" سنة 1957 تطبع بتونس وهي لا تزال قائمة برسالتها الثورية(20).

هذه أيها القارئ الكريم قائمة الجرائد العربية بالجزائر التي صدرت خلال فترة الكفاح السياسي، واستمرت إلى يوم اندلاع الثورة الجزائرية ومن خلالها يتضح لك أن الجزائر لم تضيع عروبتها قط رغم المحن والأهوال، سواء في أيام محنتها السوداء، أو في عهد انبعاثها، والنصر للحق والغلبة للضمير، والعزة للمغرب العربي الكبير.

الهوامش والتعليقات

(1) هكذا كانت بداية الحلقة 23.

(2) تذكر مختلف المراجع أن "حزب الشعب الجزائري" أعلن عن تأسيسه يوم 1937/03/11. وكان مفدي زكرياء أحد قادته ورئيس تحرير لسانه المركزي صحيفة "الشعب".

(3) قد يكون هناك خطأ مطبعي، لأن أول عدد من "الجحيم" صدر يوم 30 مارس 1933 وأخرها العدد السابع الصادر يوم 11ماس 1933.

(4) صدرت الشريعة ابتداء من يوم 17 جويلية 1933 ومنعت يوم 28 اوت 1933.

(5) تذكر أغلب المراجع أن "الصراط السوي" قد صدر منها 17 عددا، ابتداء من 11 ديسمبر 1933 إلى 08 يناير 1934 وواضح أن هناك خطأ مطبعيا.

(6) لجريدة "البصائر" سلسلتان، الأولى كانت قبل الحرب العالمية الثانية من 1935/12/27 إلى سبتمبر 1939 والثانية كانت بعد الحرب ابتداء من 1947/07/25 إلى أفريل 1956 ولا شك أن المؤلف قد كتب ذلك من ذاكرته.

(7) صدرت "السنة المحمدية" ما بين 10 افريل و03 جويلية 1933.

(8) أصدر محمد السعيد الزاهري في ماي 1938 جريدة "المغرب العربي" التي صودرت بعد خمسة أعداد ليصدر بعد ذلك من وهران صحيفة " الوفاق" وبعد الحرب أعاد إصدار "المغرب العربي" ابتداء من 1947/03/13 لتكون قريبة من "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" اختفت في ماي 1949 ليحاول صاحبها إصدارها مرة أخرى سنة 1956.

(9) اختفت صحيفة "الوفاق" في جويلية 1940 .

(10) بعض المصادر تذكر أن صحيفة "الجزائر الجديدة" صدرت في جويلية سنة 1947 واختفت في سبتمبر سنة 1955.

(11) انظر الهامش 8 أعلاه.

(12) لا شك أن هناك خطأ في الرقن، إذ أن "صوت المسجد" قد صدرت يوم 1948/10/08 واختفت في جانفي 1951.

(13) اختفت "إفريقيا الشمالية" في ماي 1949.

(14) لسان حال "جمعية العلماء" هي "البصائر" أما الشعلة فكانت جريدة إصلاحية تابعة للجمعية، توقفت عن الصدور في فيفري1951.

(15) بعض المراجع تذكر أنها صدرت ابتداء من 6 جويلية لتختفي في 31 اوت 1950. وكان هدفها الرد على صحيفة "الشعلة".

(16) صدرت "المنار" في مارس 1951 وتوقفت عن الصدور في جانفي 1954.

(17) توقفت "صوت الجزائر" عن الصدور في نوفمبر 1954.

(18) توقفت "صوت الشعب" عن الصدور في نوفمبر1954.

(19) هناك ثلاث طبعات من "المقاومة الجزائرية" تونسية وفرنسية ومغربية، أما أول عدد منها فقد صدر يوم الخميس أول نوفمبر 1956 توقفت عن الصدور بعد أن دخلت مقررات مؤتمر الصومام المنعقد يوم 1956/08/20 حيز التنفيذ وقد صدر منها 19 عددا آخرها كان يوم الاثنين 15 جويلية سنة 1957.

(20) صدر العدد الأول من صحيفة "المجاهد" في شهر جوان 1956 بالجزائر العاصمة، وبعد أن دمر الاستعمار مخبأها بالقصبة إبان معركة الجزائر في بداية 1957 توقفت اضطرارا عن الصدور حوالي ستة أشهر، ثم استأنفت مسيرها بعد أن انتقلت هيئة تحريرها رفقة أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الناظور بالمغرب الأقصى حيث صدر منها عددان، لتنتقل بعد ذلك إلى تونس لتواصل

صدورها بانتظام، وتوزع في مختلف أرجاء العالم وعلـــى أفـــراد جيش وجبهة التحرير الوطني، لتعود إلى أرض الوطن ســنة 1962 وقد جعلها مؤتمر الصومام اللسان المركــزي والنــاطق الرســمي الوحيد للثورة الجزائرية. وعليه فقد صدر منها أبان فـــترة الثـــورة 120 عددا تتوزع على ثلاث مراحل هي:

ـ المرحلة الجزائرية الأولى وقد تضمنت سبعة أعداد.

ـ المرحلة المغربية وقد صدر خلالها عددان.

ـ المرحلة التونسية وقد صدر خلالها 111 عددا.



طبع بمطبعة دار هومه

تاريخ الصحافة العربية في الجزائر



" كل مسلم، بشمال إفريقيا، يؤمن بالله ورسوله ووحدة شماله هو أخي، وقسيم روحي، فلا أفرق بين تونسي وجزائري ومغربي، وبين مالكي وحنفي وشافعي وإباضي وحنبلي ولا بين عربي وقبائلي، ولا بين مدني وقروي، ولا بين حضري وآفاقي، بل كلهم إخواني أحبهم وأحترمهم وأدافع عنهم ما داموا يعملون لله والوطن، وإذا خالفت هذا المبدأ فإنني أعتبر نفسي أعظم خائن لدينه ووطنه . "

الإيداع القانوني: 64-2003

ردمك : 6-1-9539-9961